



جامعة الجزائر 3
كلية علوم الاعلام والاتصال
قسم علوم الاعلام

مطبوعة بيداغوجية في مقياس:

الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية

موجهة لطلبة السنة ثانية ليسانس إعلام واتصال

من إعداد:

الدكتورة كريمة شعبان

أستاذة محاضرة قسم ا



العام الجامعي 2019

السداسي: الثالث

عنوان الوحدة: وحدة تعليم استكشافية

المادة: أنثروبولوجيا اجتماعية وثقافة

أهداف التعليم: تمكين الطالب من معرفة الأدوات المعرفية المتعلقة بتطور الثقافة والمجتمع "أنثروبولوجيا"، وكذا معرفة التصنيفات ومسارات دراسة الثقافة، وقوانينها ودور الانثروبولوجيا في المجتمعات المعاصرة

المعارف المسبقة المطلوبة المعطيات التاريخية والأركيولوجية والثقافية والاجتماعية المحصلة في السداسيات السابقة

محتوى المادة

- مفاهيم أولية حول الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية

- التقاليد النظرية الانثروبولوجية

- طبيعة الثقافة، واقعها، علاقتها بالمجتمع والفرد، النسبية الثقافية

- إثنوغرافيا الاتصال -

التطور التاريخي لثقافة المجتمعات، وصيرورة التغيرات الاجتماعية والثقافية- .

العولمة، اللغات والهويات

- الفضاءات الثقافية الجهوية الكبرى -المشكلات الأنثروبولوجية المعاصرة

طريقة التقييم

علامة الأعمال الموجهة 50 % + الامتحان 50 %

المراجع: (كتب ومطبوعات، مواقع انترنت، إلخ)

جامعة الجزائر 3
كلية علوم الإعلام والاتصال
قسم علوم الاعلام

مطبوعة بيداغوجية في مقياس:

الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية

موجهة لطلبة السنة الثانية ليسانس إعلام واتصال

من إعداد:

الدكتورة كريمة شعبان

أستاذة محاضرة قسم أ

العام الجامعي: 2018 - 2019

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

البرنامج

المحور الأول مدخل إلى الأنثروبولوجيا

1. مفهوم الأنثروبولوجيا، موضوعها وأهدافها
2. نشأة الأنثروبولوجيا
3. علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى

المحور الثاني: الاتجاهات النظرية الأنثروبولوجية

1. النظريات الكبرى في الأنثروبولوجيا
2. النظرية التطورية
3. النظرية الانتشارية
4. النظرية الوظيفية
5. النظرية البنيوية

المحور الثالث: فروع وأقسام الأنثروبولوجيا

1. الأنثروبولوجيا الطبيعية (الفيزيائية)
2. الأنثروبولوجيا الاجتماعية
3. الأنثروبولوجيا الثقافية

المحور الرابع: أنثروبولوجيا الاتصال ومنهج البحث الأنثروبولوجي

1. أنثروبولوجيا الاتصال
2. الانتوغرافيا وإثنوغرافيا الاتصال
3. مفهوم المنهج في الدراسات الاجتماعية
4. منهجية البحث الأنثروبولوجي وأدواته

خاتمة

قائمة المراجع

الفهرس



مقدمة:

تهتم الأنثروبولوجيا بدراسة الانسان ككائن اجتماعي يحيا في مجتمع تسوده مجموعة من النظم والأنساق تذوب في ثقافة أو ثقافات معينة، فالأنثروبولوجيا لا تدرس الانسان بمعزل عن بيئته إنما تدرسه كجزء لا يتجزأ من محيطه بكل ما يحوي من جوانب بيولوجية، جسدية نفسية، ثقافية واجتماعية.

تتناول الأنثروبولوجيا موضوعات مختلفة ومتداخلة مع موضوعات العلوم الأخرى، إلا أنها ذات علاقة وطيدة بحياة الانسان، حيث تبحث الأنثروبولوجيا في المبادئ التي تحكم تطور الانسان فيزيقيا وثقافيا، كما تبحث في التنوع الثقافي واللغوي عند الانسان، وتحاول أيضا معرفة جوانب السلوك الاجتماعي والثقافي... وغير ذلك كثير.

وقد قسمت الأنثروبولوجيا وفق نشأتها وتطورها إلى مراحل حسب العصور التي وجدت فيها اللبنة الأولى لمفهوم الأنثروبولوجيا، فقد تميزت الأنثروبولوجيا في العصر القديم في أعمال بعض المجتهدين في الحضارات المختلفة (الإغريقية، الرومانية، الصينية) والذين صوروا لنا أحلام الشعوب في تلك الفترات، أما الأنثروبولوجيا في العصور الوسطى فقد اعتمدت على الوصف والخيال في أوروبا وعلى الخبرات والمشاهدات في العالم الإسلامي حيث بدأت بوادر الحضارة الإسلامية تنتشر خصوصا بعد الفتوحات الإسلامية الأمر الذي سمح بتطوير العلوم بصفة عامة والمنهج الأنثروبولوجي على وجه الخصوص فيما بعد.

يرى الأنثروبولوجيون الأوروبيون أن الأصول النظرية للأنثروبولوجيا ظهرت في عصر النهضة الأوروبية بالموازاة مع انتشار الكشوفات الجغرافية، وتبع ذلك الانتقال من المنهج الفلسفي إلى المنهج التجريبي في دراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية، كل ذلك ساهم في بلورة الأنثروبولوجيا في نهاية القرن 19 كعلم قائم توطره عدة نظريات لكل منها رؤيتها وموقفها ومنهجها وتفسيرها لجوانب حياة الانسان المختلفة.

بحلول القرن العشرين أصبح للأنثروبولوجيا تقسيمات وفروع متعددة أهمها الأنثروبولوجيا الطبيعية، الثقافية والاجتماعية.

تأتي هذه المطبوعة البيداغوجية لتسلط الضوء على أبرز الجوانب المتعلقة بالأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ولذلك قسمت المطبوعة إلى خمس محاور تضمن كل محور عدد من العناصر، المحور الأول أسميناه مدخل إلى الأنثروبولوجيا وقد تضمن ثلاث عناصر مهمة هي مفهوم الانثروبولوجيا، موضوعها وأهدافها، ثم نشأة الأنثروبولوجيا، بعدها علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى، أما المحور الثاني فقد أفردناه للنظريات الكبرى في الأنثروبولوجيا وهي النظرية التطورية، النظرية الانتشارية النظرية الوظيفية والنظرية البنوية.

المحور الثالث تحدثنا فيه عن فروع وأقسام الأنثروبولوجيا وخصوصا الأنثروبولوجيا الطبيعية والأنثروبولوجيا الاجتماعية والأنثروبولوجيا الثقافية، أما المحور الرابع فقد خصصناه لمنهج البحث الأنثروبولوجي وفيه تحدثنا عن مفهوم المنهج في الدراسات الاجتماعية ثم عن منهجية البحث الأنثروبولوجي وأدواتها.

المحور الأول

مدخل إلى الأنثروبولوجيا

1. مفهوم الأنثروبولوجيا، موضوعها وأهدافها
2. نشأة الأنثروبولوجيا
3. علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى

مفهوم الانثروبولوجيا:

قبل تعريف الأنثروبولوجيا تجدر الإشارة إلى تعدد التعريفات واختلافها وتشعبها فيما يخص هذا المصطلح، ويرجع ذلك بالأساس إلى اتساع فروعه ومجالاته فضلا عن الشمولية التي يتميز بها وعليه فالتعريفات قد تتفق في أحيان وقد تختلف وتتداخل في أحيان أخرى

فإذا نظرنا في كلمة أنثروبولوجيا من الناحية الاشتقاقية وجدناها مشتقة من الكلمة الإغريقية "Anthropos" أي الإنسان واللفظة و log أي العلم... أي أن معناها اللفظي هو دراسة الإنسان، لذا يحاول الأنثروبولوجيون دراسة الإنسان وكل أعماله،¹ كذلك نجد في المعجم العربية تعريفا يقدم الأنثروبولوجيا بأنها علم الإنسان، وهو علم يبحث في أصل الجنس البشري، وتطوره وأعرافه وعاداته ومعتقداته وفي السلالات البشرية وخصائصها ومميزاتها،² والأنثروبولوجيا كذلك هي علم دراسة الجماعات الإنسانية وسلوكها وإنتاجها.³

تهتم الأنثروبولوجيا بدراسة جوانب البشر في المجتمعات الماضية والحاضرة كافة، وتفاعل تلك الجوانب وتطورها عبر الزمان والمكان، وكيفية تكيف البشر مع البيئات المتباينة واختلاطهم وتواصلهم معا وما تنتجه نشاطاتهم من انماط ووظائف وعلاقات اجتماعية مختلفة.⁴

ويتم الإشارة إلى علم الإنسان بعدة مسميات من بينها: علم الإنسان، علم الجماعات البشرية وسلوكياتها أو علم الحضارات والمجتمعات البشرية، ومن المعروف عن علم الأنثروبولوجيا أنه علم عام يتفرع منه أقسام متعددة، والأنثروبولوجيا لا تدرس الإنسان بوصفه إنسانا وحيدا

¹ محمد الجوهري، الأنثروبولوجيا، اسس نظرية وتطبيقات عملية دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1979، ص28.

² المعجم العربي الأساسي، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم **Alesco**، توزيع لاروس 1989، ص 112.

³ حسين عبد الحميد، احمد رشوان، الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ص 9.

⁴ التعريف موجود على الموقع التالي: **Weziwezi. Com** تاريخ الولوج : 2018/10/3 على الساعة 11:33

وإنما بوصفه كائنا اجتماعيا يحيا في مجتمع ينتمي إليه ويتفاعل مع بشر آخرين.¹

كما تعرف الأنثروبولوجيا أيضا بأنها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة... ويقوم بأعمال متعددة، ويسلك سلوكا محددًا، وهو أيضا العلم الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمدا على تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل... ولذا يعتبر علم دراسة الإنسان علما متطورا يدرس الإنسان وسلوكه وأعماله.² أي الدراسة المتكاملة للإنسان بما يحويه من جوانب سيكولوجية وبيولوجية وفسيولوجية وثقافية واجتماعية.³

يعني ذلك أن الأنثروبولوجيا لا تعني بدراسة الإنسان ككائن معزول أو مفصول عن بيئته ومحيطه وبني جنسه إنما تدرسه بكل ما يحوي من جوانب بيولوجية، جسدية، نفسية، ثقافية واجتماعية.

يقول محمد الجوهري في هذا الإطار أن الأنثروبولوجيا "هي أكثر العلوم التي تدرس الإنسان وأعماله شمولًا على الإطلاق، هناك دائل وشواهد عديدة على هذا الشمول فالأنثروبولوجيا تجمع في علم واحد بين نظرتي كل من العلوم البيولوجية والعلوم الاجتماعية، فتركز مشكلاتها من ناحية على الإنسان كعضو في المملكة الحيوانية، وعلى سلوك الإنسان كعضو في مجتمع، من ناحية أخرى.⁴

فالأنثروبولوجيا بوصفها دراسة للإنسان في أبعاده المختلفة البيوفيزيائية (الحمض النووي من وظيفة الخلية الحية والوظائف الحيوية في جسم الإنسان والاجتماعية والثقافية فهي علم

¹ الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) ... ودراسة السلوك البشري متوفر على الموقع التالي:

www.feed.not/dofault.htm تاريخ الولوج 2018 مارس 19

² أحمد ابو هلال، مقدمة في الأنثروبولوجيا التربوية، المطابع التعاونية، عمان 1974، ص 09.

³ حسين عبد الحميد احمد رشوان، مرجع سبق ذكره، ص 03.

⁴ محمد الجوهري، علماء شكري، مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، دار المعرفة، القاهرة، 2007، ص 18.

شامل يجمع بين ميادين ومجالات متباينة ومختلفة بعضها عن بعض. اختلاف علم التشريح عن تاريخ تطور الجنس البشري والجماعات العرقية، وعن دراسة النظم الاجتماعية من سياسية واقتصادية وقربانية ودينية وقانونية وما إليها... وكذلك عن الابداع الإنساني في مجالات الثقافة المتنوعة التي تشمل، التراث الفكري وأنماط القيم وأنماط الفكر والإبداع الأدبي والفني بل والعادات والتقاليد ومظاهر السلوك في المجتمعات الإنسانية المختلفة، وإن كانت لا تزال تعطي عناية خاصة للمجتمعات التقليدية.¹

ولعل التعريف الذي وضعه الدكتور شاكور سليم في قاموس الأنثروبولوجيا يختزل ثراء تعريفات هذا العلم واتساع توصيفه في قوله " إن الأنثروبولوجيا هي علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً.²

ونعرض فيما يلي بعض التعريفات التي وضعها العلماء الأمريكيون على النحو التالي:

يقول **BOAS** بواس: "تدرس الأنثروبولوجيا الإنسان ككائن اجتماعي ويشمل موضوع دراستها جميع ظواهر الحياة الاجتماعية الإنسانية، دون تحديد زمني أو مكاني".

ويقول كروبر "**Kroeber**" الأنثروبولوجيا هي علم دراسة جماعات الناس وسلوكهم ونتاجهم وهي "أساساً علم خاص بدراسة التاريخ الطبيعي لمجموع أوجه النشاط البشري التي أصبحت منجزاتها الراقية في المجتمعات المتمدنة- منذ زمن بعيد- ميداناً للعلوم الإنسانية، هذا على الرغم من أن الهدف والمنهج الأنثروبولوجي طبيعي، حتى عند تطبيقه على المادة البشرية أو ما دون البشرية ويعرفها لينتون **Linton** وهيرسكوفيتش **Herskovits** بأنها: "دراسة الإنسان وأعماله"، وهكذا تهدف الأنثروبولوجيا إلى فهم الإنسان من خلال دراسة عدة ميادين

¹ عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2004، ص12.

² الزهرة- إبراهيم، الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الثقافية، وجوه الجسد، النايا للدراسات والنشر والتوزيع 2009، ص 21.

علمية قد تكون مستقلة ولكنها متصلة ببعضها البعض أيضا يجمعها علم واحد.¹
هناك قسمان رئيسان للأنثروبولوجيا هما: الأنثروبولوجيا الطبيعية، والأنثروبولوجيا الثقافية،
ويندرج تحت القسم الثاني ميادين الاثنوغرافيا والاثنولوجيا، وفي بعض الأحيان أيضا مالم
تكن مستقلة عنها بعض الشيء - الآثار والفلكلور واللغويات والأنثروبولوجيا الاجتماعية.²

موضوع الأنثروبولوجيا:

تتناول الأنثروبولوجيا مجموعة من الموضوعات ذات العلاقة بحياة الإنسان إلا أنها تتباين
في مستوياتها وأولوياتها من باحث إلى آخر.³ وفي هذا الصدد كتبت الباحثة الأنثروبولوجية
الأمريكية مارجريت ميد **Margaret mead** (1901 - 1979) تقول "نحن نصف
الخصائص الإنسانية البيولوجية والثقافية للنوع البشري عبر الأزمان وفي سائر الأماكن،
ونحلل الصفات البيولوجية والثقافية المحلية، كأنساق مترابطة ومتغيرة، وذلك عن طريق
نماذج ومقاييس ومناهج متطورة. كما نهتم بوصف وتحليل النظم الاجتماعية والتكنولوجية،
ونعني أيضا ببحث الإدراك العقلي للإنسان، وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته، إن
التخصصات الأنثروبولوجية التي قد تتضارب مع بعضها، هي في ذاتها مبعث الحركة
والتطور في هذا العلم.⁴

فعلم الانثروبولوجيا يركز اهتمامه على الإنسان ويحاول فهم الظواهر المختلفة المؤثرة فيه،
كما يحاول فهم طبيعة هذا الإنسان وسلوكه وقد حاول الباحث محمد الجوهري عرض
الموضوع الأساسي الذي تقوم عليه البحوث الانثروبولوجية عن طريق طرح مجموعة من
الإشكاليات كالتالي:

¹ ايكه هولترانكس، قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفلكلور ترجمة: محمد الجوهري، حسن الشامي، ط1، دار المعارف، مصر
1972، ص50

² المرجع السابق، ص، 51، 50 .

³ عامر مصباح، المدخل إلى علم الانتبولوجيا، دار الكتاب الحديث القاهرة، 2010، ص14.

⁴ حسين فهيم، قصة الأنتربولوجيا، فصول في تاريخ علم الإنسان عالم المعرفة، عدد 98، الكويت 1986، ص 14.

"تقوم البحوث الأنثروبولوجية بالبحث عن مجموعة من المبادئ التي تحكم تطور الإنسان فيزيقيا وثقافيا ولماذا تغير التركيب الفيزيقي للإنسان؟ لماذا توجد انماط بشرية متميزة بمثل هذه الكثرة برغم أصلها المشترك جميعا؟ وإذا لم يكن التنوع الثقافي واللغوي عند الإنسان نتيجة فروق متوارثة بيولوجيا في السلوك، فما هو السبب في تلك الفروق الواسعة المتعددة في اللغات وفي الثقافات...؟ وما هي طبيعة الثقافة؟ وكيف تتغير الثقافات؟ وماهي العلاقة المنهجية المنظمة بين مختلف جوانب السلوك الاجتماعي والثقافي للإنسان؟ كيف يستجيب الأفراد للمثل العليا والأهداف التي تحددها لهم الثقافات؟ ما هي العلاقة بين الثقافة والشخصية".¹

وتأسيسا على ما تقدم فإن الأنثروبولوجيا هي العلم الذي يدرس الإنسان ويدرس أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بينه وبين الكائنات الحية الأخرى من جهة، وأوجه الشبه والاختلاف بين الإنسان وأخيه الإنسان من جهة أخرى وفي الوقت ذاته يدرس السلوك الإنساني ضمن الإطار الثقافي والاجتماعي بوجه عام، فلا تهتم الأنثروبولوجيا بالإنسان الفرد، كما تفعل الفيزيولوجيا أو علم النفس وإنما تهتم بالإنسان الذي يعيش في جماعات وأجناس وتدرس الناس في أحداثهم وأفعالهم الحياتية.²

أما بالنسبة لمحمد حسن غامري فإنه يرى أن موضوع علم الأنثروبولوجيا هو دراسة الإنسان سواء كان في الأزمنة السحيقة أو المعاصرة، وذلك بالتركيز على بحث ودراسة طرق حياة الناس الذين كانوا يعيشون في الماضي السحيق، وكذلك طرق حياة الناس في الزمن المعاصر وهو بذلك لا يبتعد كثيرا عن محمد الجوهري.³

¹ محمد الجوهري مرجع سبق ذكره، ص، ص 32-33

² عيسى الشماس، مرجع سبق ذكره ص 14.

³ عامر مصباح، مرجع سبق ذكره ص 16.

أهداف الأنثروبولوجيا:

استنادا إلى مفهوم الأنثروبولوجيا وموضوعها، فإن دراستها تحقق مجموعة من الأهداف يمكن حصرها في الأمور التالية:

- وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفا دقيقا وذلك عن طريق معايشة الباحث المجموعة أو الجماعة المدروسة وتسجيل كل ما يقوم به أفرادها من سلوكيات في تعاملهم في الحياة اليومية.
- تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسة واقعية، وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة، في سياق الترتيب التطوري الحضاري العام للإنسان: (بدائي - زراعي صناعي - معرفي - تكنولوجي).
- تحديد أصول التغيير الذي يحدث للإنسان وأسباب هذا التغيير وعملياته بدقة علمية... وذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني وربطه بالحاضر من خلال المقارنة، وإيجاد عناصر التغيير المختلفة.
- استنتاج المؤشرات والتوقعات الاتجاه التغيير المحتمل، في الظواهر الإنسانية الحضارية المدروسة، والتصوير بالتالي لإمكانية التنبؤ بمستقبل الجماعة البشرية التي أجريت عليها الدراسة.¹

نشأة الأنثروبولوجيا:

قسم توماس بنيمان **T. penniman** (وهو انجليزي) تاريخ الأنثروبولوجيا إلى خمس مراحل وفترات رئيسية إذ يعتبر بنيمان الأنثروبولوجيا قبل عام 1835 تقريبا قد مرت بمراحل تمهيدية منذ العصور القديمة، فالأنثروبولوجيا لم تبرز كفرع جديد للمعرفة في نظره إلا من

¹ ازهري مصطفى صادق، مقدمة في الأنثروبولوجيا مقرر دراسة قسم الآثار، كلية السياحة والآثار جامعة الملك سعود، 2013، ص 10-09.

خلال الفترة من عام 1835 حتى 1859، أما خلال الفترة 1859 إلى 1900 أي إبان نصف قرن تقريبا على حد تقسيمه- فقد تأسست الأنثروبولوجيا كعلم أكاديمي، تلي ذلك المرحلة الرابعة مع أوائل القرن العشرين واستمرت حتى منتصف الثلاثينات (1935) وفيها مرت الأنثروبولوجيا بمرحلة التأسيس، أما المرحلة الخامسة التي بدأت منذ عام 1935 حتى نهاية الخمسينات تقريبا فهي ولا شك مرحلة التدعيم والتثبيت لعلم الأنثروبولوجيا وتخصصاته المتعددة،¹ كما قسمت الأنثروبولوجيا وفق نشأتها وتاريخ تطورها إلى ثلاث مراحل حسب العصور التي وجدت فيها اللبنة الأولى لمفهوم الانثروبولوجيا على النحو التالي:

- الأنثروبولوجيا في العصر القديم؛
- الأنثروبولوجيا في العصور الوسطى؛
- الأنثروبولوجيا في عصر النهضة.²

أولا: الأنثروبولوجيا في العصر القديم:

1. عند الإغريق (اليونانيين القدماء):

يعد المؤرخ الإغريقي (اليوناني) هيرودوتس **Herodotus** الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، وكان رحالة محبا للأسفار، اول من صور أحلام الشعوب وعاداتهم وطرح فكرة وجود تنوع وفوارق فيما بينها، من حيث النواحي (السلالية والثقافية واللغوية والدينية، ولذلك يعتبره معظم مؤرخي الأنثروبولوجيا الباحث الأنثروبولوجي الأول في التاريخ، فهو أول قام بجمع معلومات وصفية دقيقة عند عدد كبير من الشعوب غير الأوروبية (حوالي خميس شعبا)، حيث تناول بالتفصيل تقاليدهم وعاداتهم وملامحهم الجسمية وأصولهم السلالية.³

¹ حسن فيهم، مرجع سبق ذكره، ص ص 20، 21

² عيسى الشماس، مرجع سبق ذكره ص 18.

³ المرجع السابق ص 19.

كما تناول أفلاطون (428-347 ق.م) دراسة السلالات البشرية وتقسيم المجتمع إلى طبقات، طبقة الفلاسفة وطبقة الجند وطبقة العبيد، كما تحدث عما يجب أن يكون عليه مجتمع أثينا في كتابه "الجمهورية"¹، وبالرغم من الطابع الفلسفي لكتابات أفلاطون والتي تناقض ما تتجه إليه الدراسات الأنثروبولوجية السوسولوجية من دراسة ما هو قائم، لا ما يجب أن تكون عليه الأمور، فإن فضل الفكر الفلسفي اليوناني خاصة عند كبار فلاسفتهم، لا يمكن التقليل من شأنه أبداً² وذلك لأن فلاسفة اليونان أخذوا من الحضارات القديمة وامترجت فلسفتهم بها مثل الحضارة المصرية.

لقد انغمس أرسطو بدوره في التأملات الفلسفية عن طبيعية الجنس البشري، وفي الأنثروبولوجيا الفلسفية الخاصة به يناقش الاختلافات بين البشر والحيوانات على وجه العموم ويستنتج أنه رغم وجود حاجات مشتركة بينهم وبين الحيوانات، فالإنسان وحده هو الذي يحظى بالعقل والحكمة والأخلاق، لقد دفع بأن البشر في الأساس اجتماعيون بطبيعتهم.³

2. عند الرومان:

امتد عصر الإمبراطورية الرومانية حوالي ستة قرون، تابع خلالها الرومان ما طرحه اليونانيون من مسائل وأفكار لكنهم وجهوا دراساتهم نحو الواقع الملموس، ومع ذلك لا يجد الأنثروبولوجيون في الفكر الروماني ما يمكن اعتباره كإسهامات أصلية في نشأة علم مستقل لدراسة الشعوب وثقافتهم أو تقاليد راسخة لمثل هذه الدراسات.⁴

ونسنتني في ذلك أشعار كاروس لوكرتيوس (98-55 ق.م) (Lecretius) التي احتوت

¹ عامر مصباح، مرجع سبق ذكره ص 29.

² حسين فهمي، مرجع سبق ذكره ص 38.

³ توماس هيلاند اريكسن، فين نيلسن، تاريخ الانثروبولوجيا، ترجمة وتقديم: عبده الريس، المركز القومي للترجمة، العدد 2، 2015، ص 16.

⁴ عيسى الشماس، مرجع سبق ذكره ص 21.

على بعض الأفكار الاجتماعية الهامة كفكرة التطور والتقدم، حيث تحدث عن الإنسان الأول والعقد الاجتماعي، ونشأة اللغة ونظامي الملكية والحكومة إلى جانب مناقشته للعادات والتقاليد والفنون والأزياء والموسيقى، ويرى بعض الأنثروبولوجيون أن لوكرتيوس استطاع ان يتصور مسار البشرية في عصور حجرية ثم برونزية ثم حديدية.¹

كان الاتجاه السائد هو العنصري في الحضارات القديمة، حيث كانت هذه الحضارات القديمة تتميز بالتعالي عن غيرها فكانوا يعتقدون انهم فوق غيرهم...).

3. عند الصينيين القدماء :

يرى بعض المؤرخين أن الصينيون لم يعبأوا في القديم بالثقافات الأخرى خارج حدودهم، وهذا نابع من نظرتهم العنصرية، إذ كانوا يعتقدون كالرومان انهم أفضل الخلق، وأنه لا وجود لأية حضارة أو فضيلة خارج جنسهم.. بل كانوا يرون انهم لا يحتاجون إلى غيرهم في شيء... ولكي يؤكد ملوكهم هذا الواقع، أقاموا " سور الصين العظيم" حتى لا تدنس ارضهم بأقدام الآخرين ولذلك اهتم فلاسفة الصين القدماء بالأخلاق وشؤون المجتمعات البشرية من خلال الاتجاهات (الواقعية / العملية) في دراسة أمور الحياة الإنسانية ومعالجتها، لأن معرفة الانماط السلوكية التي ترتبط بالبناء الاجتماعي في أي مجتمع، تسهم في تقديم الدليل الواضح على التراث الثقافي لهذا المجتمع، والذي يكشف بالتالي عن طرائق التعامل فيما بينهم من جهة، ويحدد أفضل الطرائق للتعامل معهم من جهة أخرى، وهذا ما يفيد الباحثين في العلوم الأخرى، ولا سيما تلك التي تعني بالإنسان.²

¹ حسين فهميم، مرجع سبق ذكره ص 39.

² عيسى الشماس، مرجع ذكره ص 22.

ثانيا: الأنثروبولوجيا في العصور الوسطى:

1. في أوروبا:

مع نهاية القرن الخامس الميلادي تقريبا بدأت السلطة المركزية لروما في التدهور والانهيار ودخلت أوروبا في مرحلة من ارتداء الفكر وسميت هذه الحقبة بالعصور الوسطى لأنها وقعت بين عهدين (الفلسفات الأوروبية القديمة في أثينا أو روما وعصر النهضة)، في هذه الفترة انتشرا الإرهاب الديني المسيحي. في هذه العصور الوسطى تدهور التفكير العقلاني وأدبنت أية أفكار تخالف التعاليم المسيحية أو ما تقدمه الكنيسة من تفسيرات للكون وسيطرت الكنيسة سيطرة مطلقة على اتجاهات التفكير الاجتماعي، وتجدر الإشارة على أنه إلى جانب الكنيسة وما ارتبط بها من مؤسسات دينية كالأديرة وغيرها، كانت هناك مراكز أخرى وجهت أيضا منطلقات المعرفة وحددت طبيعتها خلال العصور الوسطى للحضارة الغربية كبلاد الملوك الذي كان يضم في العادة فئات من المثقفين كرجال الإدارة والسياسة والشعراء.¹

ظهرت في هذه المرحلة محاولات عدة للكتابة عن بعض الشعوب اتسمت - غالبا- بالوصف التخيلي بعيدة عن المشاهدة المباشرة على أرض الواقع مثال ذلك ما قام به الأسقف إزيدور **Isidore** (560-636) حيث أعد في القرن السابع الميلادي موسوعة عن المعرفة وأشار فيها إلى بعض تقاليد الشعوب المجاورة وعاداتهم، ولكن بطريقة وصفية عفوية تتسم بالسطحية والتحيز² فقد ذكر مثلا أن قرب الشعوب او بعدها عن أوروبا يحدد درجة تقدمها فكما كانت المسافة بعيدة، كلما كان الانحطاط والتدهور الحضاري مؤكدا، ليس هذا فحسب بل إنه وصف أولئك الناس الذين يعيشون في أماكن نائية، بأنهم سلالات غريبة الخلقة حيث تبدو وجوههم بلا أنوف، وقد ظلت تلك المعلومات سائدة وشائعة حتى القرن الثالث عشر حين ظهرت موسوعة أخرى أعدها الفرنسي باتو لو مكوس **Batolomacus**

¹ حسين فهم مرجع سبق ذكره، ص 42.

² عيسى الشماس، مرجع سبق ذكره ص 23.

والتي خطيت بشعبية كبيرة رغم أنها لم تختلف كثيرا عن سابقتها من حيث الاعتماد على الخيال¹ على العموم فإن معظم التفسيرات التي قدمت في هذه الفترة كانت قائمة على التحيز العنصري والديني وسادت نظرية " الارتداد او الانتكاس الحضاري: **Cultural Degradation**، فالشعوب المسيحية الممتثلة الأمور الدين هي ارقى الشعوب أما بعض السلالات وخصوصا غير الغربية، فقد تدهورت من الحالة المثلى إلى الحالة الأدنى بسبب ما قاموا به من أفعال شريرة، وما يمارسونه من طقوس ومعتقدات شاذة وغريبة.²

2. العرب والمسلمين:

بدأت بوادر الحضارة العربية الإسلامية في الانتشار والازدهار خصوصا بعد الفتوحات الإسلامية فقد تم فتح عدة أقاليم من إسبانيا حتى الهند، وتضمنت هذه الحضارة: الآداب والفلسفة والأخلاق والمنطق... وغيرها.

ومن أجل تنظيم نظام الحكم في البلاد المفتوحة كان من الضروري الاهتمام بأحوال الناس فبرز العرب في وضع المعاجم الجغرافية وإعداد الموسوعات الكبيرة التي بلغت ذروتها في القرن الرابع عشر الميلادي واعتمدت مواد هذه الموسوعات على المشاهدة والخبرة الشخصية وهذا ما جعلها مادة خصبة من ناحية المنهج الأنثروبولوجي في دراسة الشعوب والثقافات الإنسانية.

ومن بين العلماء البارزين في هذه الفترة نذكر:

البيروني (362-440هـ) وضع كتابا عن الهند بعنوان " تحرير ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة" وصف فيها المجتمع الهندي وصفا دقيقا (اجتماعيا وثقافيا...).

الرحالة ابن بطوطة: من خلال كتاباته ذات الطابع الأنثروبولوجي، والتي برزت في اهتمامه

¹ حسين فهميم، مرجع سبق ذكره ص ص 42-43.

² المرجع نفسه.

بالناس ووصف حياتهم اليومية، وطابع شخصياتهم وأنماط سلوكياتهم وقيمهم وتقاليدهم.¹

المؤرخ والفيلسوف الاجتماعي ابن خلدون (1332-1406) كتب ابن خلدون تاريخاً ضخماً عن العرب والبربر، مزوداً بمقدمة ضخمة نقدية طويلة حول استخدامه للمصادر فقد أنشأ أولى النظريات الاجتماعية، وسبق أفكار **اميل دور كايم** عن التماسك الاجتماعي.

ويؤكد ابن خلدون أهمية القرابة والدين في خلق شعور من التلاحم والالتزام المتبادل بين أعضاء جماعة ما. يتحدث ابن خلدون عن نشأة المجتمع الإنساني وتطوره ولا يستمر هذا المجتمع - حسب ابن خلدون - إلا بوجود سلطة قائمة خاصيتها الأساسية القهر بما تفرضه من نظم وقوانين وسلوك عام تخضع له الجماعة ككل، وبدون السلطات فهي حالة الفوضى المؤدية إلى الحرب، والسلطان القاهر المنظم للمجتمع يستند بدوره إلى العصبية التي هي بمثابة مفهوم مركزي في التحليل الخلدونية لنشأة المجتمعات وتطورها واندثارها من المجتمعات العربية التي عاشها حالة واقعية لدراسته.²

الانثروبولوجيا في عصر النهضة الأوروبية:

بدأ عصر النهضة في أوروبا في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي (14) حيث شرع الأوروبيون بعملية دراسة انتقائية للعلوم والمعارف الإغريقية والعربية، مترافقة بحركة ريادية نشطة للاستكشافات الجغرافية. وتبع ذلك الانتقال من المنهج الفلسفي إلى المنهج العلمي التجريبي في دراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية، والذي تبلور وتكامل في القرن السابع عشر (17). إن هذه التغيرات مجتمعة أدت إلى ترسيخ عصر النهضة (التنوير) وأسهمت بالتالي في بلورة الأنثروبولوجيا في نهاية القرن التاسع عشر (19) كعلم، يدرس تطور الحضارة البشرية في إطارها العام وعبر التاريخ الإنساني، الأمر الذي استلزم توافر

¹ عيسى شماس، مرجع سبق ذكره، ص ص 24-25.

² عامر مصباح، مرجع سبق ذكره، ص ص 31-32.

الموضوعات الوصفية عن ثقافات الشعوب وحضاراتها، في أوروبا وخارجها، من أجل المقارنات والتعرف إلى أساليب حياة هذه الشعوب وترتيبها بحسب مراحل تطورية معينة، بحيث يضع ذلك أساساً لنشأة علم الأنثروبولوجيا.

أهم مرحلة استكشافية أثرت في علم الأنثروبولوجيا الرحلة التي قام بها كريستوف كولومبوس إلى القارة الأمريكية ما بين (1492- 1502) حيث زحرت مذكراته عن مشاهداته واحتكاكاته بسكان العالم الجديد، بالكثير من المعلومات والمعارف عن أساليب حياة تلك الشعوب وعاداتها وتقاليدها، اتسمت بالموضوعية نتيجة للمشاهدة المباشرة. وكتب في وصفه لسكان أمريكا الأصليين:

"إنهم يتمتعون بحسن الخلق والخلق، وقوة البنية الجسدية، كما أنهم يشعرون بحرية التصرف فيما يمتلكون إلى حد أنهم لا يترددون في إعطاء من يقصدهم أياً من ممتلكاتهم، علاوة على أنهم يتقاسمون ما عندهم برضا وسرور...".¹

وتميز عصر النهضة الأوروبية بظاهرة كان لها تأثير في توليد نظريات جديدة عن العالم والإنسان وهي أن المفكرين اتفقوا على الرغم من تباين وجهات نظرهم على مناهضة فلسفة العصور الوسطى اللاهوتية، التي أعاقت فضول العقل الإنساني إلى معرفة أصول الأشياء ومصادرها وتكوين الطبيعة وقوانينها وصفات الإنسان الجسدية والعقلية والأخلاقية. وظهر نتيجة لهذا الموقف الجديد اتجاه لدراسة الإنسان عرف بالمذهب الإنساني (العلمي) اقتضى دراسة الماضي من أجل فهم الحاضر، حيث اتجهت دراسة الطبيعة الإنسانية وفهم ماهيتها وأبعادها وفق المراحل التاريخية (التطورية للإنسان).

وقد تبلور هذا الاتجاه (المذهب) العلمي في الدراسات التجريبية والرياضية التي ظهرت في أعمال بعض علماء القرن 17 من أمثال فرانسيس بيكون ورينيه ديكارت واسحاق نيوتن

¹ عيسى شماس، مرجع سبق ذكره. ص 26

وغيرهم، حيث أصبحت النظرة الجديدة للإنسان على أنه ظاهرة طبيعية ويمكن دراسته من خلال البحث العلمي، والمنهج التجريبي، وهذا ما ساهم في تشكيل المنطلقات النظرية للفكر الاجتماعي.

وقد ظهر عالم الاجتماع الفرنسي ميشيل دومونتان (1532-1592) والذي أجرى مقابلات مع مجموعات من السكان الأصليين في أمريكا المكتشفة، والذين أحضرهم بعض المكتشفين إلى أوروبا، وبعد أن جمع منهم المعلومات عن العادات والتقاليد السائدة في موطنهم الأصلي، خرج بالمقولة التالية:

"إنه لكي يفهم العالم فهما جيدا، لا بد من دراسة التنوع الحضاري للمجتمعات البشرية واستقصاء أسباب هذا التنوع".¹

وعليه فقد أرسى ابن خلدون الأسس المنهجية لدراسة المجتمعات البشرية، ودورة الحضارات التي تمر بها. ويرى بعض علماء الأنثروبولوجيا البريطانيون أن في مقدمة ابن خلدون بعضا من موضوعات الانثروبولوجيا الاجتماعية ومناهجها.²

واستنادا إلى ما تقدم يمكن القول إن الفلاسفة والمفكرين العرب المسلمين أسهموا بفاعلية خلال العصور الوسطى - في معالجة كثير من الظواهر الاجتماعية التي يمكن أن تدخل في الاهتمامات الأنثروبولوجية ولاسيما التنوع الثقافي الحضاري بين الشعوب سواء بدراسة خصائص الثقافة أو حضارة بذاتها، أو بمقارنتها مع ثقافة أخرى. ولكن على اعتبارها مصادر للمادة " الاثنوجرافية التي درست (أسلوب الحياة في مجتمع معين وخلال فترة زمنية محددة).

ولا سيما العادات والقيم وأنماط الحياة، فإن الأنثروبولوجيا التي تبلورت في أواخر القرن

¹ المرجع السابق، ص 28.

² عيسى شماس، مرجع سبق ذكره، ص 25

التاسع عشر (19)، كعلم جديد معترف به، لم تكن ذات صلة تذكر بهذه الدراسات، ولا غيرها من الدراسات (اليونانية والرومانية) القديمة¹.

علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى:

على الرغم من الاعتراف بالأنثروبولوجيا كعلم مستقل بذاته يدرس الإنسان من حيث نشأته وتطوره وثقافته فإن له علاقة وطيدة بكثير من العلوم الأخرى وسنبين صلة علم الأنثروبولوجيا ببعض العلوم على النحو التالي:

1. الأنثروبولوجيا وعلم الفيزياء والكيمياء: تتجسد العلاقة بين الأنثروبولوجيا وعلمي

الفيزياء والكيمياء، في الاستعانة بهما في تحليل المواد التي صنعت بها الأدوات الخزفية، وأدوات الأكل والإنتاج والتحف، وحتى تحليل ظاهرة تحنيط الأجسام القابلة للانحلال في العصور القديمة² (وبتحليل مكونات هذه الأدوات يمكن الوصول إلى استخلاصات ونتائج حول العصور التي مرت بها البشرية وطبيعتها وخصائصها ومعالم الانتقال من عصر إلى آخر.

2. الأنثروبولوجيا والفن: تتجسد علاقة الأنثروبولوجيا بالفن في دراستها (فنون ورسوم وشعر

وأدب وتراث وفلكلور الشعوب المختلفة، إذ نستطيع القول أن الفن هو أحد موضوعات الأنثروبولوجيا الرئيسية وبيان مدى تأثير أشكال المرح والفرح والاحتفال على النظم الاجتماعية المختلفة وعلى الثقافة والقيم التي يحملها والاعتقادات الدينية. وتحليل مثل هذه الرموز الفنية يفيد في فهم نمط التفكير لدى أصحاب هذا الفن وبالتالي طبيعة السلوك الاجتماعية³.

3. الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع: هناك روابط وصلات كثيرة بين الأنثروبولوجيا وعلم

¹ نفس المرجع السابق

² عامر مصباح، مرجع سبق ذكره ص 38.

³ المرجع السابق ص 19.

الاجتماع، بالنظر إلى أن كلا منهما يدرس نفس المشكلات الأساسية مثل الثقافة: والنظم الاجتماعية، والقرابة والزواج والأسرة... الخ، إلا أن تناول مثل هذه الموضوعات يختلف من علم إلى آخر. فنظرة الانثروبولوجي هي نظرة شاملة فهو يدرس مختلف الموضوعات في كليتها بينما نظرة علم الاجتماع متخصصة إلى حد بعيد. ومن الناحية المنهجية فثمة اختلاف منهجي بين العلمين فالباحث في علم الاجتماع يعتمد على افتراضات نظرية للدراسة ويضع المتغيرات الاجتماعية ويحاول التحقق منها من خلال المعلومات التي يجمعها بواسطة استبيان نجد في المقابل أن الباحث الانثروبولوجي يعتمد على تشخيص الظاهرة استنادا إلى فهم الواقع كما هو ومن خلال الملاحظة المباشرة ومشاركة الأفراد في حياتهم العادية.¹

4. الانثروبولوجيا وعلم الأحياء: يتناول علم الأحياء دراسة الكائنات الحية من الخلية الأبسط إلى الأكثر تعقيدا، ويرتبط علم الأحياء بالعلوم الطبيعية ولا سيما علم التشريح ووظائف الأعضاء.²

وتكمن العلاقة بين العلمين في دراسة أحجام جمجمة الإنسان والأعضاء الأخرى التي عثر عليها في المقابر أو الحفريات، لمعرفة الشكل الذي كان عليه الإنسان القديم، والتطورات التي طرأت عليه، وكذلك الحيوانات التي استأنفها وانقرضت والأخرى التي كان يصطادها بغرض الغذاء...³

¹ أنظر: - عيسى شماس، م س د، ص 37

- عامر مصباح م س د، ص 23.

² عيسى شماس، م س د، ص 34 .

³ عامر مصباح م س د، ص 25-24.

الانثروبولوجيا وعلم النفس:

يلتقي علم النفس مع علم الانثروبولوجيا في دراسة السلوك، لكنهما يختلفان في طريقة البحث وسياقه، فالأنثروبولوجيا تدرس السلوك في سياقه التاريخي، وكيف أثرت عليه عوامل مختلفة في جذوره الماضية، وما مدى استمرار مثل هذه التأثيرات في حاضر المجتمعات الإنسانية، كتأثير الثقافة والنبات والجيولوجيا على تشكيل أنماط السلوك لدى الجماعات البشرية الغابرة. في حين نجد أن علم النفس أيضا يدرس السلوك لكن في سياقه الحاضر أو الجاري وبالتالي يعتمد على الملاحظة والمسح الاجتماعي والتجريب والمنهج الوصفي في تحليل السلوك الإنساني.¹

الأنثروبولوجيا واللسانيات:

أصبحت استعانة الأنثروبولوجيا باللسانيات ضرورة معرفية ومنهجية ملحة وذلك لما قد يجده الباحث الأنثروبولوجي في الدراسات اللسانية من أدوات وتقنيات مفيدة له والتي تشكل محطة أساسية لا بد من المرور عبرها من أجل اقتحام البناء الاجتماعي والثقافي والعقائدي للشعوب فاللغة هي جزء مهم من ثقافة أي شعب وميوله واتجاهاته الفكرية العامة بل هي تقيس تطوره الفكري والاجتماعي.²

تلعب اللغة والدراسات اللغوية دورا مهما في تدعيم البحث الأنثروبولوجي حيث تمكنه من جمع وتسجيل العناصر الثقافية والتي تنتقل من جيل إلى آخر، هذا من جهة ومن جهة أخرى، فإن المعرفة اللغوية تبقى أساسية وضرورية للباحث الميداني الذي يبقى مطالباً بمعرفة لغة الأهالي من أجل الاتصال والتواصل معهم ومعرفة أشكالهم التعبيرية من أغاني وحكايات وأساطير وأمثال وحكم وألغاز وأشعار ونكت، معرفة مباشرة دون اللجوء إلى الدليل

¹ المرجع السابق ص 25.

² محمد سعيد، الأنثروبولوجيا، مفهومها وفروعها واتجاهاتها، دار الخلدونية، 2013، ص 44.

أو المترجم.¹

الأنثروبولوجيا وعلم الآثار:

يقوم علم الآثار بدور معرفي ومنهجي لا يستهان به في البحث الأنثروبولوجي، حيث يزود الباحث بطاقات علمية ووسائل تقنية مفيدة تساعده على معرفة ما في موضوعه وإبراز بعض خصوصياته المادية والمعنوية الأولى، وذلك باستنطاق الآثار القديمة المتبقية والوسائل الحضارية التي ابدعها وصنعها الأقدمون وظلت بعض بقاياها حية كعلامات دالة على حضارة وثقافة قد اندثرت وانقرضت أو هي في طريق الزوال بفعل عامل الزمن أو الحروب أو الكوارث الطبيعية.²

يستفيد الباحث الأنثروبولوجي بل يعتمد في أكثر الأحيان على أعمال وتقنيات ونظريات وأطروحات ونتائج الباحث في علم الآثار الذي يبحث كما هو معروف في مختلف المراحل التطورية للثقافة الإنسان، حيث يحدد معالم تفكير الإنسان الأول ويدرس مخلفاته ويتبع هذه المخلفات والبقايا ويدرس تطوراتها من حالاتها البدائية الأولى إلى حالاتها الراقية في بداية العصر التاريخي، حيث اكتشف الإنسان الكتاب وتوصل إلى حضارة اللغة وعبر الإنسان عن حضارته وثقافته لغويا باستخدام الكتابة³ إن اعتماد الأنثروبولوجي على علم الآثار مكنته من التعمق والغوص أكثر ثقافات وحضارات وتاريخ الشعوب من الزاوية الأثرية عن طريق تحليل دلالاتها.

علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الفلسفة: تعود كلمة (فلسفة) إلى الأصل اليوناني المكون من مقطعين: (فيلو Philo) وسوفيا Sophy أي فيلوسوفيا Philosophy، وتعني حب الحكمة أو محبة الحكمة، وعلى الرغم من أصلها الاشتقاقي، فقد اتخذت عند أرسطو معنى أكثر دقة

¹ المرجع السابق ص 26.

² محمد سعدي، مرجع سبق ذكره ص ص 27- 28

³ نفس المرجع السابق

وشمولاً حيث عرفها بأنها " علم المعنى الأكثر شمولاً الكلمة علم".

وإذا كانت الفلسفة أم العلوم كما كانت تسمى بالنظر لشمولية دراستها مجموعة من العلوم الرياضية والإنسانية والفيزيائية، فإن صلة الأنثروبولوجيا بها وثيقة جداً، ولا سيما فيما يتعلق بنظرة الإنسان إلى الكون والحياة، في زمان ما أو مكان محدد، وذلك لأن الزمان والمكان مرتبطان بعلاقة جدلية، لا يمكن إدراك مكوناتها إلا من خلال دراسة الفعل الإنساني الذي يسعى إلى البقاء والاستمرار. فدراسة أصل الإنسان ونشأته حياته وسعيه إلى البقاء والخلود وما ينجم عن ذلك من تطور وتغير مستمرين كلها تقع في ميدان الدراسات الأنثروبولوجية ولا سيما تلك العلاقة الأزلية بين طبيعة الإنسان، وواقعة وما يطمح إليه من آمال وأهداف مؤمن بسيرورة حياته.¹

¹ عيسى الشماس، مرجع سبق ذكره ص 33.

المحور الثاني

النظريات الكبرى في الأنثروبولوجيا

1. النظريات الكبرى في الأنثروبولوجيا
2. النظرية التطورية
3. النظرية الانتشارية
4. النظرية الوظيفية
5. النظرية البنيوية

النظريات الكبرى في الأنثروبولوجيا:

هناك نظريات كثيرة في الأنثروبولوجيا نظرت إلى مختلف جوانب حياة الإنسان، سواء أكانت ثقافية، سياسية، اجتماعية، اقتصادية، جمالية او فنية...الخ. ولكل منها رؤيتها وموقفها ومنهجها وتفسيرها لهذه الجوانب والمجالات، هذا من جهة، أما من جهة أخرى فإن هذه النظريات تدل على حيوية وفاعلية البحث الأنثروبولوجي، وعلى انه بحث متواصل ومستمر يتكيف مع التغيرات ويبدع حولها تنظيرات ومفاهيم ومناهج.¹

إن هذه النظريات لا حد لها ولا حصر لكن بحثنا اليوم سيقصر على أربع نظريات هي: النظرية التطورية، الوظيفية، البنيوية والانتشارية. ومن هنا يجب أن نتساءل ما مضمون هذه النظريات؟ وتعبير آخر: ما هي طبيعتها؟ من هم أقطابها؟ وما هي قواعدها وميكانيزماتها؟²

النظرية التطورية:

يرجع المؤرخون تاريخ نشأة الاتجاه التطوري إلى الفترة الممتدة ما بين 1860 و1900 مستلهمين في ذلك نتائج الدراسات الداروينية في المجال البيولوجي التطوري كما حددها صاحبها العالم الشهير داروين والتي يمكن تلخيصها في العناصر الثلاثة التالية:

1. إن جميع أشكال الحياة تتغير وتنتج أشكال جديدة باستمرار.
2. بعض هذه الأشكال اكثر ملاءمة مع الظروف البيئية من غيرها.
3. إن الأشكال الأكثر ملاءمة للبقاء والحياة تبقى وتستمر، أما الأخرى فيقضى عليها.³

¹ مصطفى تيليوني، مدخل عام في الأنثروبولوجيا، سلسلة مداخل، ط2، منشورات الضفاف منشورات الاختلاف، الرباط الجزائر، 2017، ص 79.

² المرجع السابق ص 80.

³ محمد سعدي، مرجع سبق ذكره، ص 63.

تتعلق هذه النظرية من فكرة أساسية وهي أن المجتمع يشبه العضوية الحية (الجسم الحي) دون أن تهمل هذه النظرية التطورات التي تحدث للمجتمع، وهي بذلك تشبه تطور الجسم الحي، وتضيف هذه النظرية أنه حتى الصفات المعنوية مثل: الثقافة والتقاليد، العادات والأعراف تورث كما تورث الصفات البيولوجية، وهذا ما يساعد هذه النظرية في تحسين تقنيات تنظيم المجتمعات من خلال مؤسساتها الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية. ويعتبر مورغان (Morgan) أول من قسم المجتمعات تقسيماً ينطلق من النظرية التطورية إلى ثلاث مراحل هي:

مرحلة التوحش، المرحلة البربرية ثم مرحلة الحضارة¹ ولعل ما يمكن الإشارة عليه بصورة عامة أن الفكر الاجتماعي التطوري يرى أن جميع المجتمعات البشرية، نظمها الاجتماعية تتغير، وهي في تغييرها تمر بمراحل تطورية معينة، كل مرحلة منها تمثل انتقال المجتمع من حالة أقل رقياً إلى حالة أكثر رقياً² وعليه تؤمن هذه النظرية بأن المجتمعات تنتقل باتجاه التقدم الدائم من البساطة البدائية إلى التعقيد، مثلما تتطور الأجزاء العضوية في الكائن البيولوجي عندما ما ينمو، وحسب هذه النظرية فإن التطور يتم عبر خط مستقيم ومتصاعد بحيث تشكل كل مرحلة أساساً لما بعدها.

في ظل هذه النظرية برز عدة أقطاب شكلت أطروحاتهم، مجالاً خصباً للاتجاه التطوري الأنثروبولوجي، من أهم هؤلاء نذكر لويس مورغان الذي أعطى لهذا الاتجاه دفعا قويا من خلال دراساته العديدة والمتنوعة الثقافات الشعوب وللمسيرة الحضارية للإنسان ولتقدمه الفكري والثقافي كما سبق.

من جهة أخرى نجد داروين (1809-1883) الذي قام بدراسة حول الأنواع البشرية، ونشرها في كتاب بعنوان " أصل الأنواع بواسطة الاصطفاء الطبيعي " عام 1859، وكان

¹ مصطفى تيليون، مرجع سبق ذكره ص 81.

² محمد سعدي، مرجع سبق ذكره، ص 63.

مضمون تحليل دراوين يتمحور حول فكرة أن الخلائق بما فيها الإنسان قد تطورت من مستويات دنيا إلى مستويات عليا متخصصة، بمعنى أن أصول الخلائق ترجع إلى مصادر واحدة ثم تفرعت عنها هذه الفروع من الخلائق التي تشاهدها الآن، وذلك ليصل إلى نتيجة أن الجنس البشري "تطور من تنظيمات حيوانية دنيا يشكل بطيء إلى أن وصل إلى الشكل المتكامل الذي عليه الإنسان الآن".¹

بالإضافة إلى هؤلاء برز مجموعة من الباحثين الأنثروبولوجيين الذين يعود إليهم فضل تأسيس البحث الأنثروبولوجي عامة والاتجاه الأنثروبولوجي التطوري خاصة وعلى رأسهم "دوارد تايلور" في دراساته العديدة حول الشعوب والثقافات حيث أبرز في مقارباته لتاريخ الشعوب أنه لا فرق بين الشعوب في ذلك ما عدا امر واحد وهو معدل السرعة التي ينتقل بها شعب من مرحلة تطورية إلى مرحلة تطورية أخرى.²

فوفق هذه التصورات تأسس الفكر الأنثروبولوجي التطوري والذي يعتقد إعتقادا مطلقا أن الظواهر الاجتماعية والثقافية غير ثابتة في الزمان والمكان. فهي في حركة دائمة ومستمرة ومن ثم فهي تنتقل من حالة إلى حالة أخرى بصورة طبيعية وذلك يعود أصلا إلى طبيعة عناصرها... فإثناء حركتها قد تفقد بعضا من صفاتها وبعضا من أجزائها وتكتسب في المقابل صفات وأجزاء جديدة تماشيا مع المراحل التاريخية والاجتماعية والثقافية والجغرافية التي تحتضنها أولا ثم التي تسير تطورها ثانيا... إن الظواهر الاجتماعية والثقافية مهما كان اطارها وطبعها فهي دوما وابدا مرده العملية التطور والتغير وان ظاهرتي التطور والتغير يغذيانها ويلهمانها الحياة والاستمرار على عكس الظواهر الاجتماعية والثقافية المنفلقة على نفسها وغير القابلة للتطور والتغيير فهي مرشحة للجمود والزوال والانقراض.³

¹ عامر مصباح، مرجع سبق ذكره ص 136.

² محمد سعدي، مرجع سبق ذكره ص 67.

³ المرجع السابق ص 68.

النظرية الإنتشارية:

يعود أصل تسمية النظرية الإنتشارية أو الاتجاه الإنتشاري إلى طبيعة موضوعه ومقاصده المعرفية والمنهجية والإيديولوجية، فهو اتجاه أنثروبولوجي يعني بمتابعة النماذج والظواهر الثقافية والاجتماعية التي ظهرت في منطقة جغرافية وثقافية واجتماعية ومن ابداع شعب بعينه ثم انتشرت وشاعت متعدية حدود فضاء نشأتها الأصلي وذلك نتيجة تفاعل عدد من الأسباب الثقافية والسياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية¹، ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن الاتصال بين الجماعات والشعوب أدى إلى انتشار بعض السمات الثقافية، فعملية الانتشار الثقافي تنطلق من مركزثقافي إلى باقي المناطق كما أن الانتشار يتم أيضا من خلال انتقال السمات الثقافية من جماعة سابقة إلى جماعة لاحقة² وبصفته عامة فإن الاتجاه الأنثروبولوجي الإنتشاري يتابع الانتشار الثقافي الذي يعني انتقال نظام أو نموذج ثقافي من مجتمع إلى آخر، وذلك كأن يستعير مجتمع من مجتمع آخر بعض نماذجه الثقافية أو أدواته أو نظمه يستخدمها في حياته بطريقة تتلاءم مع ظروفه الاجتماعية وبيئته الطبيعية المحيطة، وقد يأخذ مجتمع ما بعض النماذج دون تحوير أو تغيير، أي يقوم باستخدامها كما هي³. ولا يوجد الإتجاه الإنتشاري في الأنثروبولوجيا الثقافية وحسب بل يوجد أيضا في الأنثروبولوجيا الاجتماعية إلا أنه يأخذ طابعا خاصا كل منهما. فتطبيق الاتجاه الإنتشاري في مجال الأنثروبولوجيا الثقافية يتعلق بجمع العناصر الثقافية بما في ذلك العناصر التكنولوجية والفكرية، بينما يقتصر في مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية على العلاقات والنظم الاجتماعية السائدة في المجتمع والتي تشمل بعض العناصر الثقافية ولا

¹ محمد سعيدي، مرجع سبق ذكره، ص 68

² محمد صخري، قراءة في الاتجاهات والنظريات الأساسية في الأنثروبولوجيا، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية

<https://www.politics-dz.com>

³ محمد سعيدي، المرجع نفسه.

تشملها كلها.¹

ويقوم الاتجاه هنا على مبدأ هام، وهو أن النظم الاجتماعية كثيرا ما تستعار أو تنتقل من مكان إلى آخر، وبناء على ذلك فإن تشابه النظم الاجتماعية والعادات في المجتمع الواحد أو في المجتمعات المختلفة لا ينشأ على نحو تلقائي وإنما ناتج عن التشابه في الإمكانيات الاجتماعية والطبيعية والإنسانية.²

إن النماذج الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والدينية الحية تسافر من فضاء إلى فضاء آخر من مجتمع إلى مجتمع آخر ومن شعب إلى شعب آخر فتخرج من فضاءها الأصلي لتتحم فضاءا جديدا... وقد ينتج عن هذا السفر والاستقرار هناك فقدانها بعض الصفات والعناصر المكونة لها، واكتسابها صفات وعناصر جديدة تماشيا والإطار البشري والثقافي والاجتماعي الجديد... كما تنتقل من جيل إلى آخر، أي من الجيل المبدع على الجيل المقلد، لذلك يتكفل الباحث الأنثروبولوجي الانتشاري بتتبع هذه النماذج المتنقلة ولنقل المنتشرة عبر عدد من المناطق فيسعى إلى تحديدها وتحديد مسار حركتها وانتشارها ومقارنة حالاتها في موطنها الأصلي ثم في موطنها الجديد مع قراءة لما تشيعه من دلالات وما ترمز إليه من أنماط فكرية للشعوب سواء المبدعة لهذه النماذج أم الشعوب المستقبلة لهذه النماذج والمتأثرة وكيفية التفاعل معها.³

ولعل ما يمكن الإشارة إليه أن قنوات انتشار النماذج الثقافية عديدة ومتنوعة فمن عامل الجوار أي وجود مجتمعات متقاربة ومتجاورة تتأثر ببعضها البعض، إلى عامل السياحة حيث يسافر الأفراد عبر مناطق مختلفة محملين بنماذج ثقافية من ثقافتهم الأصلية كما يعودون إلى موطنهم الأصلي محملين بنماذج ثقافية من المجتمعات التي استقبلتهم وزائرين

¹ عيسى الشماس، مرجع سبق ذكره، ص 44.

² المكان نفسه

³ محمد سعدي، مرجع سبق ذكره ص 70.

لها، إلى عامل الحروب والاستعمار وما يفرضه من نماذج الثقافية على الشعوب التي يستعمرونها.¹

وعليه يمكننا القول أن الانتشار بصفة عامة، هو انتقال خاصيات النظام أو الظاهرة من منطقة إلى أخرى أو من قطاع إلى آخر، على أساس أداء الوظيفة وإشباع الحاجة، أما في التحليل الأنثروبولوجي، فإن الانتشار يعني انتقال خاصيات النظم الثقافية من مجتمع إلى آخر أو من منطقة إلى أخرى عن طريق عملية الاتصال والإحتكاك بين الشعوب سواء عبر التجارة أو الحروب أو الإحتلال أو وسائل الاتصال الأخرى.²

أما بالنسبة لمنهج البحث الذي اعتمده مدخل الانتشار في التحليل الأنثروبولوجي للظواهر الاجتماعية من خلال تراث وأدبيات رواه فنجد عالم الأنثروبولوجيا "بواس Boas" وتلاميذه قد أسهبوا في الحديث عن عملية التكامل الثقافي والذي يعني " ترابط السمات الثقافية بعضها مع بعض، وعندما تتغير إحدى السمات الثقافية يقتضي تغير كلت السمات الثقافية الأخرى، وقد يختلف هذا الكلت حسب الظروف التي تشكل السمات الثقافية من جماعة إلى أخرى، ولذلك يجب دراسة هذه السمات المكونة للكلت في علاقتها بعضها ببعض أكثر من أن تقارن بكل ثقافي آخر.³

فالشيء الملفت للانتباه في هذا التعريف لعملية التكامل الثقافي هو المكون المنهجي في التحليل الأنثروبولوجي، فالأداة المنهجية المناسبة - من منظور مدخل الانتشار - هو استخدام الملاحظة والاستقراء وربط العناصر مع بعضها البعض للوصول إلى تعميمات صحيحة عوضا عن استخدام المنهج المقارن لرصد أوجه التشابه والاختلاف بين الثقافات في المجتمعات المختلفة، فما دام الافتراض العام لمدخل الانتشار هو أن للثقافة أصول

¹المرجع السابق، ص 71

² عامر مصباح، مرجع سبق ذكره، ص ص 126.127

³ المرجع السابق ص ص 133.

واحدة وانتقلت إلى مناطق أخرى وتكاملت عناصرها، فهذا يعني أن المنهج الاستقرائي والدراسات الطولية هما المنهجان المناسبان في التحليل الأنثروبولوجي للثقافات. يعتمد فيهما تتبع الأنماط الثقافية من أصولها الأولى ووصولاً إلى امتداداتها ونهاياتها عبر المناطق المختلفة للعالم، ويكون بذلك المنهجان منسجمان مع مضمون وروح مدخل الانتشار.¹

النظرية الوظيفية:

تعني النظرية الوظيفية أو الاتجاه الأنثروبولوجي الوظيفي بدراسة ما تؤديه العناصر الثقافية والاجتماعية من وظائف ضمن البناء الاجتماعي والثقافي الشامل، فيسعى الوظيفيون في مقاربتهم للظواهر الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والدينية إلى مبدأ التفنيت. وتجزئة الظاهرة إلى عناصر صغرى ومتابعة ما يؤديه كل عنصر من وظيفة سواء في إطاره المحدد أم في علاقته مع العناصر الأخرى وفق قانون التفاعل والانسجام الوظيفي ضمن السياق الاجتماعي أو الثقافي أو الاقتصادي أو السياسي أو الديني.

وانطلاقاً مما سبق: تعتبر الوظيفة أن كل مجتمع باعتباره نظام مؤسسات وممارسات لها دلالاتها، قادر على الاستمرار في حركته وتحولاته والقيام بوظيفته رغم التغيرات الظاهرة داخليا وخارجيا على المستوى الشخصي وقادر على الممارسات غير المهمة، فالمجتمع ليس ركاباً إلا عضواً بل هو نظام وظيفي من المؤسسات تلبى حاجات إنسانية فالوظيفة الإنسانية والاجتماعية لهذه المؤسسات هي التي تعطيها شبه شرعيتها وديمومتها.²

يركز الوظيفيون نشاطهم على تحديد هوية وظائف العناصر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والدينية والفنية.

إن المبدأ الأساسي للاتجاه الأنثروبولوجي الوظيفي يتمثل في كونه لا يهتم بالبحث عن أصل

¹ المرجع السابق

² محمد سعيدي، مرجع سبق ذكره، ص 72، 73.

الثقافة ولا كيف تنتشر الثقافات ولا غيرها من الموضوعات التي سيبحثها، وإنما يهتم بدراسة ما يسمى ديناميات الثقافة أي كيف تعمل الأجزاء المختلفة التي تكون في مجموعها ثقافة ما، فهو يبحث في الوظائف التي تؤديها النظم المختلفة داخل الثقافة الواحدة، ويبين الوظائف التي تقوم بها السمات الثقافية ويدرس صلة هذه السمات بعضها ببعض وكيف تقوم كل منها بوظائفها.¹

أهم رواد النظرية الوظيفية "برانسلو ما لينوفسكي" الذي يؤكد من خلال نظريته الوظيفية ويركز على جانب تكيف المجتمع مع محيطه، أي أن الظواهر الاجتماعية الجزئية تؤدي وظائف جزئية معينة في إطار نسق من الظواهر التؤسس أو تبني وظيفة كلية وهي تكيف المجتمع مع محيطه، فالمؤسسات الاجتماعية كالمدرسة أو الجامعة تؤدي وظيفة جزئية وهي التربية والتعليم، وهذه الوظيفة تتكامل مع وظائف أخرى لتحقيق الوظيفة الكلية وهي تكيف المجتمع مع المحيط.

اعتبر مالينوفسكي من أكبر مؤسسي الأنثروبولوجيا العلمية وذلك من خلال الثورة التي قام بها في مجال البحث الميداني والتطبيقي فمعه أصبح الميدان بمثابة مخبر تتجلى من خلاله الحياة الاجتماعية للتجمعات المدروسة، وقد استعمل في ذلك نظام السؤال او ما يسمى **Le questionnaire** لتكون نتائجه أكثر علمية.

فبالنسبة إليه الباحث الحقيقي هو الذي ينطلق في عمله من خلال معطيات الواقع ليطور بعد ذلك من موهبته في الإبداع من خلال الملاحظة.

أما راد كليف براون فهو أنثروبولوجي بريطاني قام بأبحاث ميدانية في جزر الاندمان Andoman بين عامي 1906 و1908 وقام بأبحاث ميدانية كذلك على السكان الأصليين

¹ محمد سعدي، مرجع سبق ذكره، ص ص 72، 73.

في استراليا بين عامي 1910 و1911.¹

يشبه الوظيفيون الأنثروبولوجيون المجتمع بجسم الإنسان وأعضائه فهو، يتكون من مجموعة أعضاء والتي لا تحدد ما هيها إلا بما تؤديه من وظائف مكملة لبعضها البعض وأن أي خلل يصيب عضوا من هذه الأعضاء أو عرقلة في تادية وظيفة قد يؤثر في النظام العام والشامل لكل الأعضاء الأخرى وبالتالي يؤثر سلبا في الجسم ككل، فالمجتمع يقوم أصلا ويتكون من مجموعة من المظاهر والمؤسسات والممارسات والأنظمة، وبالتالي فإن كل هذه المظاهر والمؤسسات والأنظمة مرهونة من حيث الحركة والحضور ومن حيث الفعل والكينونة لما تؤديه وظائف تكسب المجتمع بناء محكما ومنسجما من حيث التكوين ومن حيث الوظيفة والديناميكية الشاملة، يذكرنا هذا التشبيه الذي ربط به الوظيفيون المجتمع بالجسم الإنساني بذلك التشبيه الذي صنعه العلامة مالمينوفسكي بين الثقافة والكائن الحي فالثقافة برأيه عبارة عن كيان كلي وظيفي متكامل يماثل الكائن الحي، بحيث أنه لا يمكن فهم دور أو وظيفة أي عضو من أعضائه إلا في ضوء علاقته بباقي أعضاء الجسم، ومن خلال هذا التشابه بين الثقافة والكيان بباقي أعضاء الجسم للإنسان، فإن دراسة الدور والوظيفة التي يؤديها كل عنصر ثقافي تمكن الباحث من اكتشاف ماهيته وضرورته، فمفهوم الوظيفة في نظر مالمينوفسكي يعني الدور او الإسهام الذي يقوم به كل نظام اجتماعي في مجتمع ما سواء كان هذا المجتمع مجتمعا بسيطا أم مجتمعا مركبا.²

أما بالنسبة للبحث الأنثروبولوجي الوظيفي فقد اتصف بأنه لا تطوري، لا تاريخي، إذ ركز على دراسة الثقافات كل على حدة في واقعها وزمانها الحالي، ويبدو أن ما يميز الاتجاه الوظيفي هو نزول الباحثين إلى الميدان³ فالوظيفيون لا يؤرخون للعناصر الثقافية

¹ مصطفى تيليون، مرجع سبق ذكره ص ص 91، 94

² محمد سعدي، مرجع سبق ذكره، ص 74. 68 .

³ الزهرة إبراهيم، الأنثروبولوجيا والانتروبولوجيا الثقافية، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 2009، ص 69.

والاجتماعية ولا يبحثون في أصولها التاريخية ولا في منطقتي انتشارها وإنما يسعون إلى البحث في وظائفها وفي علاقتها مع بعضها البعض ضمن البناء الاجتماعي والثقافي الذي أوجدها وتطعم بحركتها ووظائفها.¹

النظرية البنوية:

تعريفها بالفرنسية (**le structuralisme**) مشتقة من الإسم اللاتيني **Structura** ومعناها بنية.

التعريف الاصطلاحي: البنية هي مجموعة من العناصر الثابتة المنسجمة والمتجانسة في ما بينها، وإذا حدث تغير في أحد عناصرها كان الخلل في مجموع البنية، مثال جسم الإنسان هو بنية تتكون من عناصر أي أعضاء كالقلب، الرئة، العين، الأذن... الخ فإذا حدث خلل في احدها اختلفت البنية في مجموعها² ارتبط الاتجاه البنيوي باسم العالم الأنثروبولوجي الشهير كلود ليفي ستراوس" وبأعماله العديدة والمتنوعة والتي صبت أغلبها في هذا الاتجاه حيث صنع منه كم من مرة عناوين على شاكلة كتابه الشهير بجزئيه الأنثروبولوجيا البنوية الجزء الأول والجزء الثاني، والذي ضمنه أغلب أفكاره وأطروحاته المعرفية والمنهجية ناهيك عن كتبه الأساسية والمهمة الأخرى والتي كتبها تحت وقع وإيقاع الاتجاه الأنثروبولوجي البنيوي مثل:

- الأسطوريات بأجزائه الأربعة؛
- العناصر الأولية للقرابة؛
- الفكر البري.³

¹ محمد سعيدي، مرجع سبق ذكره ص 76.

² مصطفى تيليونين مرجع سبق ذكره، ص ص 100، 101

³ محمد سعيدي، مرجع سبق ذكره، ص ص 76، 77

ولا يمكننا التعرف على النظرية البنيوية دون المرور عبر تحديد معنى البنيوية ومقاصدها في دراسة الظواهر الثقافية والاجتماعية، فالبنيوية - كما سبق - مصطلح مشتق من كلمة بنية وإسم لنظرية أو مدخل حريق في تحليل الظواهر الأنثروبولوجية، وهو الآخر وردت فيه الكثير من التعاريف والتي منها من يرى أنه يجب التفريق بين البنيوية باعتبارها منهجا، والبنيوية باعتبارها مجموعة من الفرضيات الميتافيزيقية، وأعني بالمنهج إجراء من الإجراءات أي أسلوب للنظر إلى العالم أو التفكير فيه، يمكننا من اكتشاف امور كانت خافية علينا من قبل... أما باعتبارها مجموعة من الفرضيات الميتافيزيقية فقد أصبحت صنفا للنظرية.¹

ويمكن تعريف النظرية البنيوية بكونها "نظرية تحليل الظواهر الاجتماعية من خلال الخصائص الثابتة في بنائها النظمي وتفسير علاقات البنات المشكلة لها. سواء كانت علاقات هذه البنات في صورة احتكاك أو انسجام. وكانت انطلاقتها الأولى من البنات اللغوية تم انسحبت على بنات الظواهر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وهناك من يرجع جذورها الفلسفية الأولى إلى الفكر الماركسي² والبنيوية اتجه معرفي ظهر مع بداية القرن العشرين وعرف ازدهارا وتطورات سريعة بفضل تطور الدراسات اللسانية خاصة مع الباحث الالسنى الشهير "فردناندي سوسير" بأبحاثه الجليلة والقيمة في اللسانيات العامة، كما تطعمت الحركة البنيوية من حيث الطرح المعرفي والمنهجي والايديولوجي ببعض ما توصلت إليه الحركة الشكلانية الروسية في أبحاثها الإنسانية والاجتماعية وأخص بالذكر في هذا الصدد أعمال أحد الأقطاب البارزة في هذه الحركة وهو الفولكلوري "فلاديمير بروب" بأبحاثه القيمة في مجال الأدب الشعبي عامة والحكاية الخرافية خاصة... وذلك بفضل كتابة الشهير والذي أحدث به ثورة معرفية ومنهجية في مجال الدراسات الفلكلورية الروسية والعالمية وهو كتاب مورفولوجيا الحكاية الخرافية وبصورة عامة، فإن البنيوية وجدت في الدارسات اللسانية

¹ عامر مصباح، مرجع سبق ذكره ص 169.

² المرجع السابق ص 169، 170

وفي الحركة السكانية الأرضية الخصبة حيث استلهمت أطروحات اللسانيين والسكانيين واستفادت من نتائج دراساتهم في المجالات اللغوية والأدبية خاصة.¹

يتعامل المنهج البنوي مع الظاهرة موضوع الدراسة كإطار عام وشامل تتحرك في داخله مجموعة من العناصر وفق قواعد ونظام ترابطي داخلي خاص ومميز بشكل بنية مستقلة وقائمة بذاتها وانطلاقاً مما سبق فإن الاتجاه البنوي هو طريقة جديدة للنظر إلى الأنشطة الفكرية والسلوكية للمجتمع والفرد وربط بعضها ببعض قديمها وحديثها، وأن يكون كل نشاط في حد ذاته نظاماً متكاملًا يقصد الاهتداء إلى النظام الكوني الأصيل والبناء الكلي للعقل البشري، تستطيع بذلك أن نصل إلى الحقيقة الكبرى التي تكشف القناع عن كثير من الأمور المعقدة

على المستوى الاجتماعي والفردى وعلى مستوى العلم الطبيعي والنتائج الفكرية... فالبنوية تبحث إذن على المستوى العميق كالذي تركز عليه الحضارات الإنسانية وذلك من خلال تجاوز الظاهر إلى الباطن.²

ويمكننا استخلاص طريقة المدخل البنوي في تحليل الظواهر الأنثروبولوجية، والمتمثلة في التركيز على مناقشة ما هو منظم ومتراكم وثابت في الظاهرة يتحكم في توجيه انماط السلوك ويخضع الأفراد تلقائياً لمحدداته، وغالباً ما تتجسد البنية في هيئة النظام الذي يعد مسؤولاً إلى حد ما عن سلوك الفرد وطريقة تفكيره، وكذلك الأمر بالنسبة لموضوع دراسة الثقافة وانواع الرموز القائمة، فإنها تكون من خلال تحليل البنية التي تحوط بها أو تضمنها.³

وعليه فالأنثروبولوجي البنوي من الناحية المنهجية والمعرفية يعتبر الظواهر الاجتماعية

¹ محمد سعدي، مرجع سبق ذكره ص 77.

² نبيلة ابراهيم: البنائية بين العلم والفلسفة، مجلة الأقاليم، بغداد العدد 04، 13 جانفي 1978، ص 12

نقلا عن محمد سعدي مرجع سبق ذكره ص 78.

³ محمد حسن غامري، مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة "علم الإنسان" ديوان المطبوعات الجامعية، 1999، ص ص 42، 43

مستقلة عن خارجها وخاضعة لمنطق هو منطقها الخاص، وانها تتشكل من جملة من العناصر المرتبطة فيما بينها ترابطا عضويا، وأي خلل يصيب عنصرا من هذه العناصر فقد يؤثر سلبا على باقي العناصر الأخرى، وبالإضافة إلى أن العناصر هذه لا تأخذ معناها إلا ضمن الصيرورة الشاملة والعامّة للعناصر الأخرى، فالعنصر تتحدد دلالاته ووظيفته في علاقته مع العناصر الأخرى ومع البنية الشاملة للظاهرة كلها.¹

ونشير إلى أن المبادئ الأساسية للاتجاه الأنثروبولوجي البنيوي تكمن فيما يلي:

- اعتبار الظاهرة موضوع الدراسة بنية مستقلة وخاضعة إلى منطق معرفي وثقافي واجتماعي والذي هو منطقها الخاص.
- اعتبار الظاهرة الثقافية او الاجتماعية بنية قائمة على مجموعة من العناصر المتفاعلة فيما بينها تفاعلا عضويا، وان أي خلل قد يصيب أي عنصر من عناصر البنية قد يؤثر في سلامة البيئة وفي نظامها الداخلي والخاص.

¹ محمد سعيدي، مرجع سبق ذكره، ص ص 79، 80

المحور الثالث

فروع وأقسام الأنثروبولوجيا

1. الأنثروبولوجيا الطبيعية (الفيزيائية)

2. الأنثروبولوجيا الاجتماعية

3. الأنثروبولوجيا الثقافية

فروع أو أقسام الأنثروبولوجيا:

لم تعرف الأنثروبولوجيا قبل النصف الثاني من القرن العشرين تقسيمات وفروع إذ كانت تتم لأغراض خاصة بالباحث أو من يكلفه، كدراسة حياة بعض المجتمعات أو مكوناتها الثقافية ومع انطلاقها في الستينات والسبعينات من القرن العشرين كانت ثمة محاولات جادة لتوصيفها كعلم خاص وبالتالي وضع تقسيمات لها وفروع.¹

فقد قسمها "رالف بندجتون" في كتابه مقدمة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية الصادرة عن 1960 إلى قسمين أساسيين-الأنثروبولوجيا العضوية أو الطبيعية، والأنثروبولوجيا الثقافية.

أما "بارنو" فقد قسمها في كتابه "الأنثروبولوجيا الثقافية" الصادرة عام 1972 إلى ثلاثة أقسام هي:

- الأنثروبولوجيا التطبيقية؛
- الأنثروبولوجيا النفسية أو الثقافية أو الشخصية؛
- الأنثروبولوجيا الاجتماعية² وعلى العموم يمكن تقسيم الأنثروبولوجيا إلى الفروع التالية:
 - الأنثروبولوجيا الطبيعية (الفيزيائية)؛
 - الأنثروبولوجيا الثقافية؛
 - الأنثروبولوجيا الاجتماعية؛

وترى ابتسام سيد علام أن هناك ثلاثة فروع تقليدية للأنثروبولوجيا هي الفيزيائية والاجتماعية والثقافية، أما الفروع الحديثة للأنثروبولوجيا فهي السياسية، الاقتصادية، التطبيقية، الطبية الحضرية، بالإضافة إلى الأنثروبولوجيا التمنية والجريمة والتغذية.³

¹ عيسى شماس، مرجع سبق ذكره ص 47

² المرجع السابق

³ ابتسام سيد علام، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ملف فيديو مقتبس من يوتيوب اللقاء 1 مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، تاريخ النشر 2017/11/11 تاريخ المعاينة 2018/11/03.

الأنثروبولوجيا الطبيعية:

تعددت أسماؤها، فمن أنثروبولوجيا بيولوجية إلى أنثروبولوجيا فيزيقية وأنثروبولوجيا طبيعية... غير أن الشائع في اللغة العربية هو اسم الأنثروبولوجيا الفيزيقية والذي اراده

الأنثروبولوجيون تعريبا لمصطلح **1. Anthropologie physique**

تعرف بوجه عام بأنها العلم الذي يبحث في شكل الإنسان من حيث سماته العضوية والتغيرات التي تطرأ عليه بفعل المورثات، كما يبحث في السلالات البشرية الإنسانية، من حيث الأنواع البشرية، وخصائصها، بمعزل عن ثقافة كل منها، هذا يعني أن الأنثروبولوجيا العضوية تتركز حول دراسة الإنسان / الفرد بوصفه نتاجا لعملية عضوية، ومن ثم دراسة التجمعات البشرية السكانية، وتحليل خصائصها.²

تعتبر الأنثروبولوجيا الطبيعية من أقدم فروع الأنثروبولوجيا وأعتقها فهي تعني بدراسة الإنسان من حيث تكوينه الجسدي ومراحل تطور بنية البيولوجية والمورفولوجية فلقد اهتمت بدراسة أعضاء الجسم الإنساني من حيث الوصف والقياس والبنية واللون والوزن والقامة وذلك قصد تحديد أوصاف وأصول السلالات البشرية ومقارنتها مع ما يشابهها في أماكن وأزمنة مختلفة.³

فالبحت الأنثروبولوجي الفيزيقي يعني بدراسة أجزاء الجسم المختلفة وعقد الموازنات والمقارنات بين التركيبات والمورفولوجيات الجسمية للسلالات الإنسانية، فهو يدرس الهيكل العظمي والعضلات ولون العينين ولون البشرة والشكل الرأس والشعر ولونه ونوعه وانتشاره على الجسم والأعضاء الداخلية أي يقوم بدراسة مقارنة للمورفولوجيا الإنسانية والبناء الجسمي

¹ محمد سعدي، الأنثروبولوجيا، مفهومها وفروعها واتجاهاتها، دار الخلدونية للنشر والتوزيع 2013، ص 47

² مبروك بوطقطوقة، الأنثروبولوجيا العضوية (الطبيعية) **Anthropologie physique** موقع أنثروبوس متوفر على الرابط التالي <https://www.aranthropos.com> + تاريخ الزيارة 2018/11/02.

³ محمد سعدي، مرجع سبق ذكره ص 47

للإنسان من شتى السلالات، وقد ركز الأنثروبولوجيون الفيزيقيون اهتمامهم خاصة على الدراسة الوصفية للإنسان وتحديد هوية أعضائه وطبيعة بنيتها الشكلية ووظيفتها البيولوجية وذلك قصد معرفة الأصول النوعية للسلالة البشرية من حيث تركيبها الجسدية وأصلها الطبيعي والبيولوجي¹ ومن علماء الأنثروبولوجيا الذين قاموا بمثل هذه الأبحاث نجد **Johann Friedrich Blumenbach** جوهان فردريك بلومنباج (1752-1840) الذي ركز في دراسته على شكل الجمجمة ولون الجلد والشعر وتكوين الجسم، واستعان في التحليل الوصفي للجماجم، وبعلم الأقيسة في قياس أبعاد وزوايا الجمجمة وغيرها من أعضاء الجسم التي تعطي صورة واضحة عن بيولوجيا الإنسان القديم² استعانت الأنثروبولوجيا الفيزيكية بمجموعة من العلوم مثل علم البيولوجيا وعلم التشريح، والأجنة، وعلم العظام، علم الأنسجة العضوية الحية، علم الوراثة، علم البناء الإنساني مقاييس حجم الإنسان، مقاييس حجم الأجسام الحية علم الجراحة الإنساني، علم آثار ما قبل التاريخ: علم أصول السلالات البشرية (الانتولوجيا)، دراسة اللغويات والانتولوجيا الاجتماعية... الخ.³

تزود هذه العلوم الباحث الأنثروبولوجي الفيزيقي بطاقات معرفية قوية تؤهله للتكفل بموضوعه تكفلا شاملا، فهو يدرس قامة الإنسان من حيث الطول والعرض والوزن وأعضائه السفلي والعليا ولونه، ولون شعره، وفصيلة دمه وشكل أنفه وفمه وأذنيه وصورة انتصابه وطبيعة وحالة جلوسه ومشيته ووزن عظامه وأشكاله من خلال ما تمد له الحفريات.⁴

¹ محمد سعيدي، مرجع سبق ذكره ص 47

² عامر مصباح، مرجع سبق ذكره ص 53.

³ عامر مصباح، مرجع سبق ذكره ص 58

⁴ محمد سعيدي، مرجع سبق ذكره ص 48.

1. فروع الأنثروبولوجيا الطبيعية:

تقسم الأنثروبولوجيا بحسب طبيعة الدراسة إلى فرعين أساسيين هما:

فرع الحفريات البشرية **Paleontologie**:

وهو العلم الذي يدرس الجنس البشري منذ نشأته، ومن ثم مراحلها الأولية وتطوره، من خلال ما تدل عليه الحفريات والآثار المكتشفة أي أنه يتناول بالبحث نوعنا البشري واتجاهات تطوره، ولا سيما ما كان منها متصلا بالنواحي التي تكشفها الأحافير، ومهمة هذا النوع من الدراسة هي محاولة استعادة (معرفة) ما نجهله عن الإنسان البائد وذلك من خلال الحفريات التي تكشف عن بقاياه وآثاره وما خلفه وراءه من أدوات، ومحاولة تحليل هذه المكتشفات من أجل معرفة الأسباب التي دعت إلى حدوث تغيرات مرحلية في شكل الإنسان، الذي أصبح كما هم عليه الآن¹ ويحاول هذا الفرع من الأنثروبولوجيا الطبيعية الإجابة عن بعض التساؤلات، ولو جزئيا على الأقل مثل متى؟ وأين ظهرت أقدم الكائنات البشرية لأول مرة؟ كيف كانت هيئة تلك الكائنات البشرية؟ وكيف تتشابه أو تختلف بعضها عن بعض؟ كيف تغيرت السمات الفيزيائية للإنسان خلال الفترة التي عاشها على الأرض؟²

- القامة؛
- لون البشرة؛
- شكل العينين؛
- شكل الرأس؛
- الوجه العينين؛
- الأنف.

¹ عيسى شماس، مرجع سبق ذكره ص 69

² محمد الجوهري: مرجع سبق ذكره ص 36

فرع الأجناس البشرية أو الأجسام البشرية **Somatology**:

هو العلم الذي يدرس الصفات العضوية للإنسان البدائي والإنسان الحالي من حيث الملامح الأساسية والسمات العضوية العامة ولذا كرس علماء الأجسام معظم جهودهم لدراسة أصناف البشرية ورصد الفروقات بينهما ومحاولة معرفة الأسباب المحتملة لهذه الفروقات ويلاحظ أن اهتمامهم، نصب، إلى عهد قريب جداً، على تصنيف الأجناس البشرية المختلفة على أساس العرق وإيجاد العلاقات المحتملة بين هذه الأجناس.

ويمكن القول إن التصنيفات العرقية التي طورها علماء الأجناس البشرية، لا تزال تعتمد في المقام الأول على خصائص سطحية بسيطة: كلون الشعر، وفي الآونة الأخيرة أخذ الاهتمام يتحول إلى فروق أقل وضوحاً وأوثق ارتباطاً بالمشكلات التي تواجهها كالفروق بين أنواع الدم وبين الأجهزة العضلية وغيرها، ومع بداية الستينات من القرن العشرين، سار علماء الأجسام شوطاً أبعد من ذلك إذ بدءوا يدرسون الفوارق بين الفئات المختلفة من حيث سرعة النمو وبين النضوج الجنسي ومدى المناعة ضد الأمراض.¹

يعني هذا الفرع إذن بدراسة السلالة التي تعني مجموعة من الناس متماثلة في صفاتها الجسمانية أو متشابهة في هذه الصفات على الأقل ومن ثم فهي تتميز بهذه الصفات عن المجموعات الأخرى من الناس. يرى العلماء اليوم أن هناك ثلاثة عوامل تدخلت في إنتاج ما يسمى بالسلالة أو الجنس أو العرق.

- العامل الأول: الخلق الذي كون السلالة أو الجن؛
- العامل الثاني: الهجرة التي سببت الاختلاط البسيط؛

¹ أنظر : - عيسى شماس مرجع سبق ذكره.

- مبروك بوطقطوقة: مرجع سبق ذكره 21

- العامل الثالث: الوراثة التي سببت اختلافا معقدا بالتناسل.¹

الانثروبولوجيا الاجتماعية:

تعريفها: تعنى الأنثروبولوجيا الاجتماعية بدراسة الانسان من حيث أبعاده الاجتماعية كدات اجتماعية فاعلة ومتفاعلة مع المجتمع بكل محطاته ومظهره المادية والمعنوية، تهتم الانثروبولوجيا الاجتماعية بصورة عامة بالأنظمة والعلاقات والبناءات والمؤسسات والأنشطة الاجتماعية سواء داخل المجتمع الواحد أو ضمن عدد من المجتمعات المتشابهة أو التي خضعت لنفس المنطق الاجتماعي وذلك بغية تحديد ماهية البناءات الاجتماعية ومدى تأثيرها في النمط المعيشي للإنسان.²

يدرس هذا الفرع في وجوده الاجتماعي ونظام ذلك من السلوك والعلاقات ويصف ويحلل ما يبني المجتمع على مستوى الأفراد وكذلك على مستوى المؤسسات كما يهتم بتطور المجتمعات عبر سيروراتها التاريخية ويقارن المجتمعات ببعضها البعض، والهدف من ذلك الوصول إلى تجديد قوانين وأنماط السلوك والنظام الاجتماعي، وجدير بالذكر أن مصطلح اثولوجيايعني في بدايات استخدامه هذا الفرع سيما لدى الانجلز والدين يعتبرون الأنثروبولوجيا الاجتماعية هي العلم الجامع والشامل وباقي الفروع مشتقة منها أو مندرجة ضمنها على عكس الأمريكيين الذين يرون بأنها فرع من فروع الأنثروبولوجيا الثقافية.³

تعرف الأنثروبولوجيا الاجتماعية أيضا بأنها دراسة السلوك الاجتماعيالذي يتخذ في العادة شكل نظم اجتماعية كالعائلة، وتصف القرابة والتنظيم السياسيوالإجراءات القانونية والعبادات الدينية وغيرها، كما تدرس العلاقة بين هذه النظم سواء في المجتمعات المعاصرة أو المجتمعات التاريخية التي لا يوجد لدينا عنها معلومات مناسبة من هذا النوع يمكن معها

¹ موفر على الرابط التالي: <http://m.maref.a.org>

² محمد سعيدي، مرجع سبق ذكره، ص 57

³ شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا عربي - انجليزي، ط1، جامعة الكويت 1981، ص 893

القيام بمثل هذه الدراسات والنظام الاجتماعي هو التغيير التقني الأنثروبولوجيا الذي يدل على المظهر الأساسي في حياة الجماعة الإنسانية، وهو يشمل النظم التي تؤلف إطار لأنواع السلوك جميعا، سواء كان فرديا أو اجتماعيا.¹

تتركز الدراسات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية على المجتمعات البدائية، لكن منذ الحرب العالمية الثانية أخذت تدرس المجتمعات الريفية والحضرية في الدول النامية والمتقدمة فتدرس البناء الاجتماعي، والعلاقات الاجتماعية، والنظم الاجتماعية مثل العائلة، والعشيرة والقربة والزواج والطبقات والطوائف الاجتماعية والنظم الاقتصادية كالإنتاج والتوزيع والاستهلاك والمقايسة والنقود والنظم السياسية كالقوانين والعقوبات والسلطة والحكومة والنظم والعقائدية كالسحر والدين، كما تدرس النسق الايكولوجي.² وهكذا يتركز اهتمام هذا الفرع بالقطاع الاجتماعي للحضارة، ويتميز بالدراسة التفصيلية العميقة للبناء الاجتماعي وتوضيح الترابط والتأثير المتبادل بين النظم الاجتماعية.³

ويمكن تعريف الأنثروبولوجيا الاجتماعية أيضا بأنها العلم الذي يتناول الدراسة التكاملية المقارنة للعلاقات الاجتماعية بالاستناد إلى الأساليب المنهجية، ومنها المقابلة والملاحظة بالمشاركة" أما الدراسة التكاملية فلأنها تدرس أي نظام في ترابطه بالنظم الأخرى، أما المقارنة فتكون على مستويين: الرأسي (زمنيا) والأفقي (مكانيا) وأصبحت الدراسة الميدانية التي تستند للاندماج في الجماعة سمة مميزة للعمل الأنثروبولوجي.⁴

¹ عيسى شماس، مرجع سبق ذكره، ص 114

² شاكر مصطفى سليم، المدخل إلى الأنثروبولوجيا، مطبعة العائني، 1975، ص 7

³ ابراهيم الساعدي، ماهي الأنثروبولوجيا، نشاتها، أقسامها وعلاقتها بالعلوم الأخرى، الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب (منتديات وانا الحضارية) متوفر على الرابط التالي:

www.wata.cc/forums/aranixe/index.php/t_481320.html

2017/11/11

⁴ ابتسام سيد، الأنثروبولوجيا الاجتماعية (ملف فيديو مقتبس من يوتيوب)، مركز، جامعة القاهرة للتعليم المفتوح تاريخ النشر 2017/11/11 تاريخ المعاينة 03 /11 /2018.

2. نشأة الأنثروبولوجيا الاجتماعية وتطورها:

يوصف علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية بأنه علم حديث نسبياً، فقد استخدم مصطلح الأنثروبولوجيا الاجتماعية لأول مرة عام 1980 حينما كرمت جامعة ليفربول في بريطانيا " جيمس فريزر " ومنحته لقب الأستاذ لكن بالرغم من حداثة هذا العلم فقد مر بمراحل متعددة أسهمت في نشوئه وتطوره واستكمال عناصره إلى حد بعيد بدءاً من القرن الثامن عشر وحتى الوقت الحاضر.¹

(القرن الثامن عشر):

مهد علماء القرن الثامن عشر فلاسفته بشكل أساسي لظهور علم دراسة الأنثروبولوجيا الاجتماعية، وذلك نتيجة لاهتمامهم بالنظم الاجتماعية من جهة واعتبارهم المجتمعات الإنسانية انساقاً طبيعية، في إطار الطبيعة البشرية).

أهم منظري هذا القرن نذكر مونتسكيو: عالم الاجتماع الفرنسي الذي ألف كتاب " روح القوانين " والذي أكد فيه أن المجتمع البشري وما يحيط به يتكون من مجموع نظم مترابطة بحيث لا يمكن فهم القوانين عند أي شعب من الشعوب إلا إذا درست العلاقات التي تحكم هذا النظام أو ذلك بما فيها البيئة والحياة الاقتصادية، والسكان والمعتقدات والأخلاق السائدة، حيث ميز بين البناء الاجتماعي والنظام القيمي وأوضح أن المجتمع ذاته وما يحيط به يتكون من نظم يرتبط بعضها البعض ارتباطاً وظيفياً وبالتالي لا يمكن فهم القانون العام لدى أي شعب من الشعوب إلا إذا درسنا العلاقات بين هذه القوانين كلها ومن ثم دراسة علاقة تلك القوانين "الاقتصادية وعدد السكان وإيان است وعد د - سائدة.

بالإضافة إلى "مونتسكيو" رأي " سان سيمون " ضرورة إنشاء علم الاجتماع واقتراح إنشاء علم وضعي علم للعلاقات الاجتماعية هذا في فرنسا، أما في إنجلترا فقد ظهرت دراسات تمهيدية

¹ عيسى شماس، مرجع سبق ذكره ص ص 115 - 116

العلم الأنثروبولوجيا الاجتماعية ولا سيما أبحاث "وايفيد هيوم" و"آدم سميث" حيث نظر إلى كل مجتمع إنساني على أنه نسق طبيعي، ينشأ من الطبيعة البشرية وليس عن طريق التعاقد ولذلك انتشرت مفاهيم جديدة مثل الأخلاق الطبيعية والدين الطبيعي، واعتبر المجتمع، ظاهرة طبيعية لا بد من استخدام المنهج التجريبي والاستقرائي عند دراسته.¹

القرنين التاسع عشر والعشرون:

أما في النصف الثاني من القرن 19 أي فترة نشوء الأنثروبولوجيا كعلم مستقل عن الفكر الفلسفي ومعترف به أبستمولوجيا، كانت العديد من الإسهامات والكتب التي بحثت في هذا العلم وحددت معالمه الإنسانية ولا سيما مؤلفات كل من "تايلور" و"ماكلينان" في إنجلترا و"بافوفين" في سويسرا، حيث اهتم هؤلاء بجمع المعلومات عن الشعوب البدائية، وأبرزها بصورة منهجية منظمة من خلال دراسة النظم الاجتماعية في حدود الأبنية الاجتماعية لهذه المجتمعات وليس في حدود الفلسفة وعلم النفس، فوضعوا بذلك أسس علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية. ولكن هذه الدراسات لم توضع بشكل ميداني بل تبقى نظرية تجريدية، وهنا ظهرت مدرستان متداخلتان هما:

النشوءية والتطورية، فالأولى تركز على الأسس العلمية لهذا العلم والثانية تركز على دور التطور في حياة الجماعة الإثنية أو البشرية عامة، ويمكن القول بأن هذه المدرسة في مجال الأنثروبولوجيا قد تأثرت إلى حد كبير بالنزعة التطورية والمباحث التاريخية التي ولدتها.

دفعت هذه النظرية علماء القرن 19 إلى البحث الحقيقي في أصل الأنواع وهنا ظهرت كتابات تتناول مواضيع عدة كأصل اللغة والحضارة والمجتمع. وفي الربع الأخير من القرن 19 تميزت الأنثروبولوجيا الاجتماعية بظهور بحوث ميدانية مما زاد في بروز هذا العلم

¹ عيسى شماس، مرجع سبق ذكره ص ص 115، 116

خصوصا الدراسة الميدانية التي قام بها "هادون"*.

أما في القرن 20 وصلت الانثروبولوجيا الاجتماعية إلى مرحلة التخصص وذلك بدراستها للبنية الاجتماعية للمجتمعات ولاسيما القديمة منها، فزادت البحوث الميدانية مثل بحث "راد كليف براون" على سكان البنغال ثم بحث "مالينوفسكي" في جزر نزوبرياند الذي يعتبر أول بحث انثروبولوجي يتمكن من فهم حياة الناس وعلاقتهم الاجتماعية من خلال تتبع عاداتهم وتقاليدهم وتحليل مدلولاتها الاجتماعية. وفي الربع الثاني من القرن 20 أصبحت للأنثروبولوجيا فروع مستقلة تدرس في الجامعات الأوربية ولا سيما الجامعات البريطانية، وانتشر تطبيق الدراسة الميدانية بفضل راد كليف براون ومالينوفسكي وتلامذتهما.¹

أهمية الأنثروبولوجيا الاجتماعية:

- دراسة البناء الاجتماعي للجماعات والمجتمعات، فالناس يعيشون في جماعات تختلف في بنائها وحجمها وخصائصها ونظمها (ريف أو مدينة أو منطقة عشوائية... يختلف من منطقة إلى أخرى).
- نشأة الأفراد في مجتمع ذو بناء معين تؤثر على حياتهم وسلوكهم وتميزهم وعن المجمل الأخرى (الإنسان يكون سلوكه انطلاقا من مرجعيته وتثنته، فقراراته وردود أفعاله تكون استجابته انطلاقا من هذه المرجعيات)
- الظواهر ليست نتاجا لخصائص فردية، ولكنها نتاجا لبناء اجتماعي فيل يوجد أفراد دون علاقات الظواهر تكون متكررة ولها وجود قهري مثلا: البطالة، الجريمة، العنف... فهي متكررة ولو كانت سلوكا فرديا فهي ليست ظاهرة، أي أن هناك بناء

* على منطقة مضائق (توليس) مع بعثة علمية، حية كانت نقطة تحول سياسية في تاريخ الانثروبولوجيا الاجتماعية حيث رخت أمرين:

- النظر إلى الانثروبولوجيا الاجتماعية على انها علم و - اعتماد الدراسة الميدانية منهجا رئيسيا في هذا العلم.

¹ المرجع السابق، ص ص 112، 113

- اجتماعي يضمهم وأن هناك أفراد تعاني من هذه الظاهرة).
- فهم البناء يساعدنا في فهم التكوينات الاجتماعية الهامشية أو البدائية والعمل على تنميتها وقدرة المجتمعات على الاستمرار والتغير الجماعات الهامشية التي تعيش على أطراف الشواح كذلك البدو يعيشون على أطراف الدولة (يتم تهميشهم) فهذا التهميش يجعلهم يحسون بعدم الانتماء لذا غالبا ما تصدر منهم عدة مشاكل، لذا لا بد من فهم طبيعة تكوينهم من أجل إعادة دمجهم في المجتمع لتجنب صدور أية مشاكل من قبلهم).
- دراسة المشكلات التي تتعلق بطبيعة الإنسان وعلاقته بالمجتمع المحيط (مثل مشكلة التحرش الجنسي، مشاكل انحراف الأحداث، العنف في الملاعب، لا بد من دراستها ويقوم بتحليلها، تم نتبأ بمستقبلها أو مصيرها في المجتمع.
- يتوجه الاهتمام ليس فقط بما يقوله الناس عن أفعالهم ولكن ما يمكن مشاهدتهم وهم يفعلونه، وهذا أسلوب مميز للأنثروبولوجيا الاجتماعية (هنا نتحدث عن المنهتن الأنثروبولوجيا الاجتماعية، فالباحث هنا لا يعبر عن وجهة نظره إنما يعبر عن وجهة نظر المبحوثين، بالإضافة إلى ذلك ما يشاهده الباحث لدى المبحوثين أي ملاحظاته الشخصية والتي لا بد وأن تتسم بالموضوعية في إطار البحوث الميدانية وليس الحدس والتخمين).
- أسهمت الدراسات والجهود في هذا الفرع في تطور ونمو النظرية الأنثروبولوجيا (فرع الأنثروبولوجيا الاجتماعية كان غني بالرواد والدراسات الميدانية الكبيرة مثل ما قام به كل من راد كليف براون، مالمينوفسكي بريتشارد...إلخ) في سبيل تطوير ليس فقط الأنثروبولوجيا الاجتماعية ولكن علم الأنثروبولوجيا ككل).¹

¹ ابتسام سيدعلام، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، مرجع سبق ذكره

موضوع الأنثروبولوجيا الاجتماعية:

تهدف الأنثروبولوجيا الاجتماعية إلى دراسة عدة أنظمة مثل البناء الاجتماعي، العائلة والقرابة، نظام الأسرة، الزواج، النظام الاقتصادي والنظام السياسي.

يدرس هذا الفرع من الأنثروبولوجيا العصر البدائي للإنسان لكن بعد الحرب العالمية الثانية وحتى اليوم أصبح يدرس الريف والحضر والبادية ويدرس العلاقات الأجيال والبناء الاجتماعية الكل واحد منهم مثل العائلة، الزواج، القرابة، النظام الاقتصادي مثل الإنتاج والسياسة مثل القوانين أي أن كل اهتمام هذا النوع يقوم على دراسة النظام الاجتماعي والعلاقات السائدة والصفات في كل نوع.¹

مثلا راد كليف براون حدد مجال دراسة الأنثروبولوجيا في مقال له عام 1923 بالمجتمعات البدائية لكنه عاد سنة 1944 ليجعل من جميع أنماط المجتمع الإنساني مجالاً للدراسة في الأنثروبولوجيا الأجيال وهو نفس الموقف الذي أبداه ايضاً نر بيريتشارد الذي رأى بأن الأنثروبولوجيا هي فرع من الدراسات الأجيال التي تتخذ من المجتمعات الإنسانية جميعاً (بأنماطها المختلفة) موضوعاً له وإن كان يركز على دراسة النمط التقليدي منها.

الموضوع الأساسي للأنثروبولوجيا الاجتماعية هو البناء الاجتماعية ومختلف النظم والأنساق الاجتماعية التي تكونه ووظيفته هذا النظم. وفيما يلي نحاول أن نورد بعض هذه الموضوعات.

1. البناء الاجتماعي:

وهو من الموضوعات الأساسية في الأنثروبولوجيا الاجتماعية ويشير إلى تلك المجموعة من الأطر التنظيمية التي تنتظم في إطارها كافة العلاقات الإنسانية التي تجمع بين الأفراد في

¹ شهيرة دعوع، مفهوم الأنثروبولوجيا موقع الموضوع <http://mawboo3.com> تاريخ الزيارة: 2018/11/18 معابر 14 ماي 2012 الموضوعات الأساسية في الأنثروبولوجيا.

مجتمع ما أو التي تتعدى حدود المجتمع الواحد، ويشير البناء الاجتماعي إلى النظام الاجتماعي العام الذي يتكون من مجموعة من النظم الفرعية التي تشكل بدورها من مجموعة من الظواهر والعلاقات الاجتماعية.

أ- مفهوم البناء الاجتماعي عند راد كليف براون: يرى براون أن البناء الاجتماعي هو شبكة من العلاقات الاجتماعية الفعلية التي يقوم بين سائر الأشخاص في المجتمع لقد جعل براون من العلاقات الثنائية وحدات بنائية أساسية (أي أجزاء أساسية من البناء الكلي للمجتمع) كعلاقة الأب بالابن مثلا، ولكن براون يحاول التفريق بين مصطلحي الإنسان كفرد والإنسان كشخص فالإنسان كفرد هو ذلك الكائن العضوي البيولوجي عكس الإنسان كشخص الذي هو عبارة عن تلك المجموعة من العلاقات الاجتماعية التي يمارسها انطلاقا من أدواره المختلفة في المجتمع فالشخص مواطن وزوج وأب..¹

ب- البناء الاجتماعي عند إيفا نر بريتشارد: يعني بريتشارد بالبناء الاجتماعي تلك العلاقات التي تربط بين الجماعات والتي تتميز بدرجة عالية من الثبات والتركيب أي أنه يقصد استمرار الجماعات واستمرار أنماط العلاقات التي تربطها بغض النظر عن الأفراد الذين يؤلفونها فالأفراد يولدون ويموتون بينما الجماعات كأطر تحتضن أنماط السلوك والعلاقات فباقية.

لذلك يختلف بريتشارد عن براون في عدم اعتباره بأن الأسرة هي وحدة بنائية (جزء أساسي) للبناء الكلي لأنها تتألف من علاقات بين أشخاص محدودي العدد (الأب والابن مثلا) فتنتهي هذه العلاقات بموت أفراد هذه الأسرة أما الجماعات فباقية. ويرتبط مفهوم البناء الاجتماعي لكل من مفهوم النظام الاجتماعي والنسق الاجتماعي فإذا كان البناء الاجتماعي هو ذلك الكل المركب من إجراء منتظمة حيث تمثل هذه الأجراء مختلف أنماط السلوك

¹ الموضوعات الأساسية في الأنثروبولوجيا، مدونة معايير 2012/05 taher 78. Blog posf.com

والظواهر، أما النسق فهو كما يرى كونديلاك (Condillk): ذلك النظام الذي تتساند فيه مختلف الأجزاء بصورة متبادلة والتشابك والتفاعل الحاصل بين عدد من النظم والأجزاء.

ج- **البناء الوظيفية:** ويرتبط البناء في استقراره واستمراره بالوظائف التي تؤديها الأجزاء (النظم المكونة له، النظام السياسي والأخذ بنظام القرابة، نظام العائلة....) فوظائف أجزاء البناء الأجد تسببه الوظائف التي تؤديها أجزاء الكائن الحي لذلك كانت محاولة فهم البناء الأجد من منطلق الوظيفة التي تؤديها النظم المختلفة وبتأشير واضح من الدراسات البيولوجية فالمدرسة الوظيفية فهتم بوظيفة النظم ضمن الواقع الأجد دون الرجوع إلى الماضي ومحاولة تتبع تاريخ هذه النظم كما كان الحال خلال البدايات الأولى للأنثروبولوجيا وعلى العموم فإن وظائف النظم تتجلى في العلاقات والتفاعلات القائمة داخل هذه النظم والقائمة فيما بينها أيضا ومن خلال ذلك يمكن للبناء الكلي أن يبقى ويستمر.¹

2. نظام القرابة:

أ- **طبيعة القرابة:** يمكن القول بأن القرابة تتحدد في أحد معانيها في ضوء العوامل البيولوجيا فالفرد يرتبط بأبيه وأمه بسبب مولده، وكذلك يرتبط الأب والأم ببعضهما البعض بسبب معيشتهم المشتركة واشتراكهما في إنجاب الأطفال ونجد في النهاية أن أطفال نفس الوالدين يرتبطون بعضهم ببعض لانتمائهم جميعا إلى سلالة نفس الزوجين.

إلا أن هذه العلاقة البيولوجية لا تحدد حتما طبيعة القرابة إذ يتضح لنا أن القرابة إن هي إلا ظاهرة سوسيوولوجية، ترتبط بالظواهر البيولوجية ولكنها لا تتطابق معها بحال من الأحوال.² ويشير مصطلح القرابة إلى العلاقة الدموية بين جماعة إنسانية معينة تتصل فيما بينها إلى جد أو جدة أكبر إلا أن هناك بعض التعريفات لعلماء الأنثروبولوجيا منها تعريف ابن خلدون

¹ مدونة معايير : taher 78. Blog post.com

² محمد الجوهري، الأنثروبولوجيا اسس نظرية وتطبيقات عملية دار المعرفة الجامعية 1997 ص215.

الذي يرى أن رابطة القرابة هي طبيعة في البشر وقائمة على العصبية، والتي تعني أن الناس يتعاونون في دفع المضار بدافع لحمة القرابة الدموية وكلما كانت القرابة متصلة وقريبة كلما كانت قوية وشديدة وأدت إلى الاتحاد والالتحام وكلما تباعدت القرابة كلما ضعفت هذه الرابطة.¹

وتعرف القرابة بأنها: صلة دموية متعددة المستويات يتعارف عليها الناس، تتدخل في صياغة الأنظمة الاجتماعية المختلفة بناء على طبيعة المجتمع القائم، فهي ذات نفوذ كبيرة في المجتمعات البدائية أو التقليدية، وينقلص نفوذها في المجتمعات المتطورة أو المركبة، بسبب تقسيم العمل وتخصص الوظائف كما يترتب عليها العديد من المصالح منها التكافل الاجتماعي والميراث، وفي أعلى المستويات قيام الملك أو الدولة ووراثية سلطتها.²

ب تصنيف القرابة: يأخذ نظام القرابة عدة خطوط أو فئات متميزة فيما بينها من حيث الأهمية والصلة والمكانة، وعلى هذا الأساس يمكن تحديد تصنيفات القرابة في مجموعة من النقاط توردها كما يلي:

1. **علاقة القرابة والمصاهرة:** وتشمل هذه الفئة على علاقات القرابة القائمة على رابطة الدم كعلاقة الأب بالأبن وأبن الابن والجد وعلاقة الأم الابن والبنت وما إلى ذلك، والنوع الثاني هو علاقة الزواج والتي تشمل علاقة الزوجين الزوجة أم الزوجة و جدة وجد الزوجة، وكذلك علاقة الزوجة باب الزوج وجد وجدة الروح وإخواله فهي علاقة مصاهرة.
2. **العلاقات الأبوية والأمومية:** يشمل هذا المستوى من القرابة، القرابة عن طريق الأب عن طريق الأب وعن طريق الأم، وهي تتضمن عددا من العناصر كالأباء والأجداد والأمهات والجندات والعمات والأعمام والخالات والأخوال، وهنا القرابة تكون مباشرة وغير مباشرة، القرابة المباشرة هم الذين لهم علاقة مباشرة بالشخص مثل الأب والجد والأم

¹ عامر مصباح مرجع سبق ذكره ص 193

² المرجع السابق ص 194

والجدة مع الأبناء، وغير المباشرين هم الأبعد كالأعمال والعمات وأبنائهم.

إلا أن من يرى تصنيفا آخر لنظام القرابة بحيث يحدده في صنفين أساسيين هما: القرابة القائمة على أساس رابطة الدم مثل الأب والأخ والابن والقرابة القائمة على أساس رابطة المصاهرة مثل الزوج والزوجة وأب الزوج وأب الزوجة، ولهذين الفئتين من القرابة فروع ثانوية أو جانبية مثل الأعمام والعمات والأخوال والخالات مهما نازلو ونزلن في الفرع القرابي.¹

ج- أسس التصنيف: من الملاحظ أن كل شعب قد اعتاد على مصطلحات القرابة في مجتمعه بحيث أننا كثيرا ما نفترض خطأ أن مصطلحات مثل: الأب والأم والابن والبنات تعني دائما نفس المدلول عند جميع الشعوب، ولا شك في أن هذا خطأ بالطبع، فكثير من مصطلحات القرابة تشير إلى فئات من القرابة، مثل مصطلحاتنا العم والعمة، الأخ والأخت وابن العم، والواقع أن نظم تصنف القرابة تتباين تباين هائلا من مجتمع إلى آخر.

وحصر "ألفرد كروبر" ثمانية من الأسس التي يتم تصنيف القرابة وفقا لها.

- الجيل؛
- العمر؛
- الأقارب الخطيين (المباشرين) والأقارب (غير المباشرين)؛
- الجنس؛
- نوع المتكلم (المخاطب)؛
- نوع القريب الذي يمثل همزة الوصل في القرابة؛
- القرابة الدموية وقرابة المصاهرة؛
- الفروق في المكانة أو الظروف المعيشية للشخص الذي تقوم علاقة القرابة من

¹ محمد حسن غامري مرجع سبق ذكره ص 86-87 نقلا عن عامر مصباح مرجع سبق ذكره ص 203.

خلاله.¹

وعلى العموم فإن أهم أسس التصنيف القرابي تتمثل في ما يلي:

الجيل: فهناك جيل الأجداد والآباء، وجيل الشخص وجيل أبنائه.

الجنس: ويتم التعريف بين الأقارب تبعا للجنس (ذكر، وأنثى).

المصاهرة: ويرتبط بطبيعة الزواج وبدرجة تقبل بعض الأصهار البعيدين نسبيا.

خط النسب: حيث يتم التمييز بين التسلسل القرابي المباشر (الآباء والأبناء والتسلسل القرابي

غير المباشر (المجانينون) (العم، أو الخال، أبناء وبنات العم أو الخال).

أنواع الجماعات القرابية:

نصادف في جميع المجتمعات الإنسانية جماعات يرتبط أعضاؤها بروابط القرابة، وهناك عدة

أنواع من هذه الجماعات الترابية، نورد أهمها فيما يلي:

1. **الأسرة النووية:** وهي عبارة عن جماعة تتكون من الزوجين وأبنائهما غير المتزوجين،

2. ويشمل هذا النمط على جيلين (جيل الآباء وجيل الأبناء).

3. **الأسرة النووية الممتدة:** وهناك شكلان أساسيان للأسرة النووية الممتدة هما: الأسرة

النووية التي يوجد فيها تعدد زوجات وهي تتكون من ذكر بالغ وزوجتين أو أكثر

وأطفالهم ثم الأسرة النووية التي يوجد فيها تعدد ازواج وهي تتكون من أنثى بالغة

وزوجي أو أكثر وأطفالهم.

4. **الأسرة المشتركة:** تتكون الأسرة من أسرتين نوويتين أو أكثر ترتبط بعضهما خلال

خط الأب أو خط الأم، أي من خلال علاقة الأب والابن أو الأخ وأخي (وكذلك الأخ

وأخته).

¹ محمد الجوهري، مرجع سبق ذكره ص 220-224.

5. وتكاد الإقامة المشتركة تكون هي القاعدة دائماً.

6. العشرة: تتجاوز العشيرة عضوية الأسرة، على الرغم من أن العامل الحاسم في

الانتماء

العائلي هو القرابة وحدها، وليس القرابة بالإضافة إلى السكن المشترك كما هي الحال الأسرة المشتركة، وتنقسم العشرة إلى نوعين، العشيرة الأبوية وفيها ينتمي الفرد إلى عشرة أمه، والعشيرة الأمومية، ففيها تكون قرابة الفرد للعشيرة هي نفس قرابة أمه للعشيرة.¹

نظام الزواج: الزواج هو الرابطة المقدسة أو الشرعية التي تجمع بين الرجل والمرأة والتي يترتب عنها وظيفة الإنجاب ويتوقف عليها بقاء النوع البشري، ونستطيع القول أن تتبع النسب القرابي يكون عبر الروابط الزوجية المختلفة التي تؤدي إلى إنجاب السلف للخلف الذي يصبح عبر الزمن الأسرة والعشيرة والقبيلة والمجتمع، كما أن الطريق الشائع نحو بناء النواة الأولى لأي مجتمع (الأسرة) هو الزواج، أي كان شكله ومن بين أشكاله تذكر.

- **الزواج الأحادي:** يشير الزواج الأحادي Monogamy إلى زواج الرجل مع امرأة واحدة.
- **بتعدد الزوجات:** يشير نظام تعدد الزوجات، Polygany إلى معنى كثير من النساء وهو يعني وجود زوجتين فأكثر لزوج واحد سواء كن في بيت واحد أو بيوت متعددة.
- **نظام تعدد الأزواج:** يطلق على نظام تعدد الأزواج كلمة Polyandry وتعني "تعدد الرجال" بالنسبة لزوج واحدة في أي نظام أسري (نادر الوجود).²

النظام الاقتصادي: هو الإجراءات التدابير المنظمة التي تتم بموجبها عمليات إنتاج السلع والخدمات وتوزيعها واستهلاكها من قبل أفراد المجتمع وضمن إطار اجتماعي محدد أو هو جملة الوسائل المستخدمة والعادات والتقاليد والأفكار المتفاعلة ببعضها من أجل استغلال

¹ محمد الجوهري، مرجع سبق ذكره ص 224-227.

² عامر مصباح، مرجع سبق ذكره ص 219-223.

الموارد البيئية بهدف إشباع الحاجات الأساسية للإنسان. هو فن توفير الحياة الاقتصادية الأفضل للجميع بإيجاد طريقة مناسبة لتوزيع الثروة على الجميع فئات المجتمع، وهو يتضمن جانب نظري يتمثل في إيديولوجية توزيع الثروة في المجتمع والتقسيم المتوازن لمصادر الثروة على أفراد المجتمع وفئاته، وجانب عملي يتمثل في التطبيق العملي للنظرية الاقتصادية يضاف إليها كل الطرق الرياضية والحسابية والأدوات والوسائل والمؤسسات وغيرها من الوسائل التي من شأنها أن تساهم في توفير وإنتاج السلعة وتوزيعها وطريقة استهلاكها.¹

النظام السياسي: يرى 'الموند' **Almond** أن النظام السياسي هو " ذلك النظام الذي يتضمن التدخلات المتواجدة في جميع المجتمعات والذي يقدم من خلالها الوظائف وذلك بواسطة استخدام القوة الإيجابية الشرعية أو التهديد باستخدامها.

أما **Botomar** فيرى بأنه " النظام الذي يختص بتوزيع القوة في المجتمع.

ويمكننا تعريف النظام السياسي بأنه ذلك الكل من الأجهزة والمؤسسات والجماعات والأفراد الذين يهتمون بكل ما هو سياسي في المجتمع وكذلك طريقة التعبير عن هذا الاهتمام، كما يحدد طريقة مشاركة المواطنين في السلطة، وهو الآخر يتألف من جانب نظري وآخر عملي، فالجانب النظري يتعلق بالإيديولوجية التي تحدد شكل النظام السياسي والطبيعة علاقته بمختلف فروع النظام والموقف من القوى الداخلية والخارجية، وجانب عملي يتمثل في أجهزته التنفيذية وسياسته في الداخل والخارج وكل الجوانب التطبيقية للنظرية السياسية.²

¹ - المرجع السابق، ص 236-237.

² - المرجع السابق، ص 255-257.

الأنثروبولوجيا الثقافية:

تعريفها:

تعني الأنثروبولوجيا الثقافية بدراسة ثقافة الشعوب بمظاهرها المادية والمعنوية والسلوكية فهي تهتم بدراسة العادات والتقاليد والمعتقدات والأعراف والفنون والطقوس وسائر الأنظمة الثقافية المرتبطة بطرق معاش "الشعوب" وأنماط حياتهم وتفكيرهم وما ميز تاريخ المسيرة المعرفية للأنثروبولوجيا الثقافية منذ تأسيسها كنمط معرفي مستقل بموضوعه هو تلك المعاناة التي تحملها الأنثروبولوجيون الثقافيون في ملاحقة موضوعهم الأول والأساسي الذي هو الثقافة والتي لم تكن محددة من حيث المساحة الموضوعاتية والمعرفية والرمزية، كما هو شأن المظاهر الإنسانية والاجتماعية الأخرى كالشخصية والحضارة والعلم الأدب والأخلاق الفكر والسلوك والفن فقد كانت عملية ملاحقة مصطلح الثقافة صعبة معقدة سواء كموضوع أم كإطار عام وشامل اختلطت عناصره البنيوية الأمر الذي أكسبه حركة كبيرة بحركة عناصره.¹

وعليه فقد تعددت تعاريف الأنثروبولوجيا الثقافية واختلفت وسوف نقف عند البعض منها كما يلي:

تعرف الأنثروبولوجيا الثقافية بوجه عام بأنها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع له ثقافة معينة، وعلى هذا الإنسان أن يمارس سلوكا يتوافق مع سلوك الأفراد في المجتمع المحيط به، يتحلى بقيمه وعاداته ويدين بنظامه ويتحدث بلغة قومه، وعليه فإن الأنثروبولوجيا الثقافية هي ذلك العلم الذي يهتم بدراسة الثقافة الإنسانية، ويعني بدراسة أساليب حياة الإنسان وسلوكه النابعة من ثقافته، وهي تدرس الشعوب القديمة، كما تدرس

¹ محمد سعيدي، مرجع سبق ذكره ص 51،52 .

الشعوب المعاصرة.¹

ويرى محمد الجوهري أن الأنثروبولوجيا الثقافية تدرس أصول الثقافات الإنسانية وتاريخها، فتتبع نموها وتطورها، وتدرس بناء الثقافات البشرية وأدائها لوظائفها في كل مكان وزمان، فالأنثروبولوجيا الثقافية تهتم بالثقافة في ذاتها، سواء كانت ثقافية أسلافنا أبناء العصر الحجري أو ثقافية أبناء المجتمعات الحضرية المعاصرة... مجتمع الثقافات تستأثر باهتمام دارس الأنثروبولوجيا لأنها تسهم جميعا في الكشف عن استجابات الناس، المتمثلة في الأشكال الثقافية للمشكلات العامة التي تطرحها دوما البيئة المادية (الطبيعية) وعن محاولات الناس الحياة والعمل معا، وتفاعلات المجتمعات الإنسانية بعضهما مع البعض.²

فعلم الأنثروبولوجيا الثقافية إذن يهدف إلى فهم (الظاهرة الثقافية وتحديد عناصرها، كما يهدف إلى دراسة عمليات التغيير الثقافي والتمازج الثقافي، وتحديد الخصائص المتشابهة بين الثقافات ويفسر بالتالي المراحل التطورية الثقافة معينة في مجتمع معين.³

نشأة الأنثروبولوجيا الثقافية ومراحل تطورها:

لم تظهر الأنثروبولوجيا الثقافية كفرع مستقل عن الأنثروبولوجيا العامة إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وربما يعود الفضل في ذلك إلى العالم الانجليزي (إدوارد تايلور)

Edward Taylor الذي قدم أول تعريف شامل للثقافة عام 1871 في كتابه " الثقافة البدائية".

¹ رالف بيلز، هاري هو يجر، مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، دار النهضة المصرية، القاهرة 1977، ص 21 نقلا عن هشام بن سنوسي، الأنثروبولوجيا الثقافية، مطبوعة بيداغوجية موجهة الطالبة السنة الثانية ليسانس كلية الآداب واللغات، جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل 2017 ص 05.

² محمد الجوهري، مرجع سبق ذكره ص 38-39

³ هشام بن سنوسي، مرجع سبق ذكره ص 05.

وقد مر علم الإناسة الثقافي بمراحل عدة حتى وصل الأين ما هو عليه اليوم في العصر الحاضر:

أ- مرحلة البداية: وتمتد من ظهور هذا العلم حتى نهاية القرن التاسع عشر وكان عبارة وعن محاولات لرسم صورة عامة لتطور الثقافة منذ القدم، والبحث أيضا عن نشأة المجتمع الإنساني.

وظهر في هذه الفترة إلى جانب العالم الانجليزي (تايلور) العالم الأمريكي (فرانز بواز) Franz Boaz الذي أخذ بالاتجاه التاريخي في دراسة الثقافات الإنسانية، وذلك من جانبين اثنين أولهما: إجراء دراسات تفصيلية لثقافات مجموعات صغيرة، كالقبائل والعشائر، ومراحل تطورها وثانيهما: إجراء مقارنة بين تاريخ التطور الثقافي عند مجموعة من القبائل بغية الوصول إلى قوانين عامة أو مبادئ تحكم نمو الثقافات الإنسانية وتطورها، وهذا ما يعطي أهمية للإنثروبولوجيا باعتبارها علما له منهجية خاصة.¹

ب- المرحلة الثانية: وتقع ما بين (1900-1915) وتعد المرحلة التكوينية حيث تركزت الجهود في الأبحاث والدراسات على المجتمعات صغيرة محددة لمعرفة تاريخ ثقافتها ومراحل تطورها، وبالتالي تحديد عناصر هذه الثقافة قبل أن تنقرض واستنادا إلى ذلك جرت دراسات عديدة على ثقافة الهنود الحمر في أمريكا وتوصل الباحث الأمريكي (كلارك ويسلر) "Clark Wissler" إلى أسلوب يمكن بواسطته من دراسة أي إقليم أو منطقة في العالم تعيش فيها مجتمعات ذات ثقافات متشابهة أو ما اصطلح على تسميته بالمنطقة الثقافية، وقد شبه ويسلر المنطقة الثقافية بدائرة تتركز معظم العناصر الثقافية في مركزها، وتقل هذه العناصر كلما ابتعدت عن المركز.

¹ V.Barnouw.cultural anthropology hane wood Illinois ;irwenic 1972 p7.5

نقلا عن هشام بن سنوسي مرجع سبق ذكره ص 9-10.

ج- المرحلة الثالثة: وتقع بين (1915-1930) وتعد فترة الازدهار، حيث تميزت بكثرة البحوث والمناقشات في القضايا التي تدخل في صلب علم الاناسة الثقافي، ولا سيما تلك الدراسات التي تركزت في أمريكا (مع العالم ويسلر). ويرجع ازدهار الانثروبولوجيا في تلك الفترة إلى نضج هذا العلم، ووضوح مفاهيمه ومناهجه، ورافق ذلك الازدهار المدرسة التاريخية في أمريكا وظهور المدرسة الانتشارية في إنجلترا ولا سيما بعد الأخذ بمفهوم (المنطقة الثقافية) الذي طرحه "ويسلر" كإطار التحليل المحطات الثقافية وتفسيرها والتوصل إلى العناصر المشتركة في الثقافات المتشابهة¹.

د- المرحلة الرابعة: وتقع ما بين (1930- 1940) وعلى الرغم من قصر مدتها التي دامت عشر سنوات فقط فقد أطلق عليها الفترة التوسعية حيث تميزت باعتراف الجامعات الأمريكية والأوروبية بعلم الانثروبولوجيا الثقافية كعلم خاص في إطار الأنثروبولوجيا العامة وخصصت لها فروع ومقررات دراسية في أقسام علم الاجتماع. وظهرت في هذه الفترة النظرية (التكاملية) التي تبناها " ادوار سابير " **Edward sapir** " عالم الاجتماع الأمريكي، واستطاع من خلالها تحديد مجموعة متناسقة من أنماط السلوك الإنساني والتي يمكن اعتمادها في دراسة السلوك الفردي لدى أفراد مجتمع معين، حيث أن جوهر الثقافة هو في حقيقة الأمر ليس إلا تفاعل الأفراد في المجتمع بعضهم مع بعض، وما ينجم عن هذا التفاعل من علاقات ومشاعر وطرائف حياتيه مشتركة وقد تأثرت الأنثروبولوجيا في هذه الفترة بالأنثروبولوجيا الاجتماعية، وخاصة أبحاث كل من مالينوفسكي وراي كليف براون.

و- المرحلة الخامسة: وهي الفترة المعاصرة التي بدأت منه عام 1940، ومازالت حتى وقت الحاضر، وتمتاز هذه المرحلة بتوسع نطاق الدراسات الأنثروبولوجية خارج أوروبا وأمريكا

¹ المرجع السابق

وانتشار الأنثروبولوجيا الثقافية في العديد من جامعات الدول النامية في إفريقيا وأسيا وأمريكا اللاتينية.

ورافق ذلك ظهور اتجاهات جديدة مثل الاتجاه القومي الذي يهدف إلى تحديد الخصائص الرئيسية للثقافة القومية، وقد أخذت بهذا الاتجاه الباحثة الأمريكية (روث بندكت) Ruth Benedict التي قامت بدراسة الثقافة اليابانية خلال الحرب العالمية الثانية.¹

وكانت من أهم الاتجاهات الحديثة أيضا في الأنثروبولوجيا الثقافية تلك الدراسات التي عنيت بالمجتمعات المتمدنة وما أطلق عليها دراسة الحالة، كدراسة أوضاع قرية أو عدد من القرى المجاورة، أو دراسة في منطقة معينة دراسة ثقافية خاصة بمجموعة بشرية إضافة إلى دراسات أكاديمية تتعلق بخصائص علم الأناسة الثقافي ومبادئه، ومناهج البحث فيه وطرقه وأساليبه وغيرها، مما يسهم في إجراء الدراسات على أسس موضوعية وعليه تتحقق الأهداف المرجوة منها.²

3. أقسام الأنثروبولوجيا الثقافية:

أتنق الأنثروبولوجيون على تقسيم هذا الفرع المعرفي إلى ثلاثة أقسام أساسية هي:

▪ علم الآثار؛

▪ علم اللغويات وعلم الثقافة المقارن.

أ- علم اللغويات linguistics :

هو العلم الذي يبحث في تركيب اللغات الإنسانية (المنقرضة والحية) ولأسيما المكتوبة منها في السجلات التاريخية، كاللاتينية أو اللاتينية أو اليونانية القديمة، واللغات الحية المستخدمة كالعربية والفرنسية والإنجليزية.

1 المرجع السابق، ص 11

2 عيسى الشماس، مرجع سبق ذكره ص 101

ويهتم دارسوا اللغات بالرموز اللغوية المستعملة، إلى جانب العلاقة القائمة بين لغة شعب مان والجوانب الأخرى من ثقافته باعتبار اللغة وعاء ناقلا للثقافة.¹

يدرس علماء الأنثروبولوجيا اللغة في سياقها الاجتماعي والثقافي في المكان والزمان ويقوم بعضهم باستنتاجات تتعلق بالمقومات العامة للغة وربطها بالتمثيلات الموجودة في الدماغ الإنساني، ويقوم آخرون بإعادة بناء اللغات القديمة من خلال مقارنتها بالمتحذرات عنها في الوقت الحاضر ويحصلون من ذلك على اكتشافات تاريخية عن اللغة.²

ويري ليفي ستروس أن اللغة تميز الإنسان عن الكائنات الحية الأخرى ولذلك يعتبرها الطاهرة الثقافية الأساسية التي يمكن عن طريقها فهم كل صور الحياة الاجتماعية، وهذا ما يظهر جليا في كتابة "الأفاق الحزينة" حين يقول "حين نقول الإنسان... فإننا نعني اللغة، وحين نقول اللغة... فإننا نقصد المجتمع."³

وعلى الرغم من أن علماء اللغة لم يتمكنوا من تحديد أسبقية لغة على أخرى، فقد توصلوا من خلال دراساتهم إلى تحقيق اللغات المختلفة بحسب طبيعتها واستخدامها في ثلاثة أقسام هي:

- **اللغات المنعزلة:** وهي اللغات التي تتخاطب بها فئات منعزلة عن الفئات الأخرى، ولا تفهمها إلا تلك الفئات المتحدثة بها وهي لغة لا تكتب وليس لها تاريخ.
- **اللغات الملتصقة:** وهي اللغات التي تتخاطب بها شعوب كبيرة، ولكنها ملتصقة بهم وبتراثهم وهي لغات معروفة، ولكن ليس لها قواعد، وإنما تعتمد على المقاطع والكلمات مثل اللغة الصينية.
- **اللغات ذات القواعد (النحو والصرف)** وهي اللغات الحديثة التي تستخدمها الأمم

¹ هشام بن سنوسي، مرجع سبق ذكره ص 10

² عيسى الشماس، مرجع سبق ذكره ص 102.

³ المرجع السابق ص 103

المتحضرة، لها قواعد نحوية وصرفية، تضبط جملها وقوالبها اللغوية، مثل اللغة العربية، واللغات الأوروبية.¹

ويقسم على اللغويات إلى أقسام فرعية أهمها:

علم اللغة الوصفي: يهتم بتحليل اللغات في زمن محدد، ويدرس النظم الصوتية، وقواعد اللغة والمفردات. ويعتمد الأنثروبولوجي اللغوي في دراساته على اللغة الكلامية، ولذلك يستمع إلى المواطنين، وخاصة أن معظم أبحاثه تكون متعلقة بلغات كلامية لم تكتب بعد فيقوم بكتابة تلك اللغات عن طريق استخدام رموز دولية متعارف عليها، وتتركز معظم هذه الدراسات في المجتمعات البدائية التي لم تعرف القراءة والكتابة، ولكن لها لغة كلامية خاصة بها، إذ لا يوجد مجتمع إنساني مهما تخلفت حضارته بدون لغة كلامية.²

أب علم أصول اللغات: يختص بالجانب التاريخي والمقارن حيث يدرس العلاقات التاريخية بين اللغات التي يمكن متابعة تاريخها عن طريق وثائق مكتوبة.

وتبرر المشكلة هنا بالنسبة للغات القديمة التي لم تترك وثائق مكتوبة إلا أنه توجد وسائل خاصة لبحث تلك اللغات وتحديد أصولها الإنسانية.

علم الآثار القديمة Archeologie:

تشق كلمة أركيولوجيا من اليونانية archaios بمعنى قديم و Logia بمعنى دراسة أو علم، وعلى هذا الأساس، فالمعنى الحرفي للكلمة "دراسة القديم"³ هو العلم الذي يدرس الفترات التاريخية في حياة المجتمعات والثقافات، وقد يجد علماء الآثار بعض البيانات في وثائق

¹ إبراهيم زرقانة، الأنثروبولوجيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958 ص 148. نقلا عن هشام بن سنوسي مرجع سبق ذكره ص 16.

² مبروك بوطقطوقة، موقع أرنتروبوس WW.google.dz/amp/www.aranthropos.com تاريخ الزيارة 10/12/2018

³ حمدي عباس، أحمد عبد المنعم، في الأنثروبولوجيا وفروعها، ضمن المدخل إلى الأنثروبولوجيا، محمد عباس إبراهيم وآخرون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 2008، ص 28.

قديمة، وذلك بالنسبة لبعض المجتمعات وهو أمر ممكن بالنسبة للحضارات القديمة في كل من اليونان ومصر على سبيل المثال.¹

يهتم علم الآثار بدراسة ما تركه الإنسان من أشياء مادية بدءا من الأدوات التي صنعها من مواد خام لمواجهة متطلبات الحياة من معيشة ومسكن وغير ذلك، وانطلاقا من أن هذه الأدوات تبقى بعده أثرا دالا على تجربته ومؤرخة عصره ويمكن تحديد ميدان علم الآثار بأنه الكشف عن الأثر الإنساني المادي ودراسته وجلاء البيئة التي وجد فيها واستخلاص كل المدلولات الممكنة منه.

إن مخلفات الإنسان مختلفة الأشكال، ويهتم بها علم الآثار لأنها شواهد على النشاط البشري ودلائل على نمط في العيش والتفكير، وباختصار فإن علم الآثار يدرس هذه المخلفات بصفاتها ووثائق تنتمي إلى حضارة معينة.²

إن الهدف النهائي لهذا العلم يتمثل في مساعدة الفقراء والدارسين في تفهم العمليات المتصلة بنمو الثقافات وازدهارها أو انهيارها وبالتالي إدراك العوامل المسؤولة عن تلك التغيرات.³

علم الثقافات المقارن (الإنثولوجيا): **Ethnologie**

هو العلم الذي يهتم بدراسة الأقليات الشعبية أو الجماعات أو القبائل أو العشائر واختلافاتها، والذي اطلق عليه اسم " الانثولوجيا " كما يدخل في نطاقها دراسة الإثنيات وأعراق الجماعات البشرية المختلفة حتى ولو كانت أقليات.⁴

وكلمة إنثولوجيا مكونة عن لفظتي Ethno و Logie وتعني الأولى الشعوب وهي كلمة يونانية قديمة أما الثانية معناها علم، فالمصطلح معناه علم دراسة الشعوب وتعني الإنثولوجيا

¹ محمد الجوهري، مرجع سبق ذكره ص 25

² ازهري مصطفى صادق علي مرجع سبق ذكره ص 12

³ المرجع السابق

⁴ عامر مصباح، مرجع سبق ذكره ص 70

عند بعض المنظرين دراسة تصنيف الناس على أساس خصائصهم الثقافية والسلالية إلى جانب الاهتمام بتحركات الأفراد وانتشار السمات الثقافية.¹

وتعرف الاثنولوجيا أيضا بأنها علم الإنسان ككائن ثقافي وهي الدراسة المقارنة للثقافة.²

ويرى كروبر Kroeber بأنها علم الشعوب وثقافات وتاريخ حياتها كجماعات بصرف النظر عن درجة تقدمها.

بتحليل المادة الثقافية أما هوبل Hoebel فيعرفها بأنها ذلك القسم من الأنثروبولوجيا المختص وتفسيرها تفسيراً منهجياً.

أما وينيك Winick فيرى بأنها دراسة الثقافة على أساس مقارن ونظرية الثقافة ومن جهة يري جاكوبز Jacobs أن الأثنولوجيا هي التحليل العلمي القائم على الاثنوغرافيا للأنساق الاجتماعية والاقتصادية والتراث الثقافي للشعوب ويستهدف الكشف عن أصول ووظائف وعمليات التغيير في سماتها الثقافية.³

وعليه تبحث الاثنولوجيا في السلالات القديمة وأصولها وأنماط حياتها، كما تبحث في الحياة الحديثة في المجتمعات الحاضرة، وتأثرها بتلك الأصول القديمة.

وتهتم الاثنولوجيا بدراسة الثقافة عن طريق المقارنة فيبحث هذا العلم في طريقة حياة المجتمعات التي لا تزال موجودة في عصرنا الحاضر أو المجتمعات التي يعود تاريخ انقراضها إلى عهد قريب عن طريق اعتماد عمليتي التحليل والمقارنة، فتكون عملية التحليل

¹ محمد حسن غامري، مقدمة في الاثنولوجيا العامة، علم الإنسان الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، 1990 ص 25 نقلا عن عامر مصباح للمرجع السابق ص 70

² ايكة هولترانكس، قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور، ترجمة محمد الجوهري، وحسن الشامي، دار المعارف مصر، القاهرة ص 56.

³ المرجع السابق

في دراسة ثقافة واحدة، بينما تكون عملية المقارنة في دراسة ثقافتين أو أكثر.¹

ويتفق أغلب الباحثين على وجود علاقة معرفية تكاملية بين الأنثروبولوجيا والاثنولوجيا والاثنوغرافيا فهي تشكل ثلاث تصورات مختلفة لعلم واحد حسب البعض، وتشكل ثلاث علوم مختلفة تلتقي في بعض العناصر حسب البعض الآخر.

فالاثنوغرافيا: هي من حيث الأصل اللغوي كلمة يونانية مركبة من لفظة اثوس أي الأقلية ولفظه غرافيا أي الوصف لمختلف الجماعات الإنسانية (الاثنيات) والتصوير، ليصبح معنى إثنوغرافيا هو الدراسة الوصفية للشعوب فالبحث الاثنوغرافي يسعى إلى جمع المعلومات رصدا من المنطقة المعنية بواسطة الملاحظة والمشاركة.

أما الاثنولوجيا فهو علم دراسة الشعوب من حيث خصائصها اللغوية والثقافية والسلالية وتفسير توزيعها الجغرافي نتيجة الهجرات واتصال الشعوب ببعضها البعض، كذلك تدرس الحياة أو الجوانب المادية من الحضارة وأشكال الحياة الأخرى بالاعتماد على التحليل والمقارنة والاثنولوجيا تشكل المحطة الثالثة والأخيرة في هذه المسيرة.²

فهي تشكل منهاجا يسعى إلى تجميع المعرفة الخاصة بالإنسان من كافة الجوانب.

موضوع الأنثروبولوجيا الثقافية: (الثقافة)

أ- تعريف الثقافة:

تعد الثقافة عاملا هاما في تصنيف المجتمعات والأمم وتمييز بعضها من بعض وذلك بالنظر لما تحمله مضمونات الثقافة من خصائص ودلالات عدة ذات أبعاد فردية واجتماعية وإنسانية أيضا. ولذلك تعددت تعاريف الثقافة ومفهوماتها وظهرت عشرات بل المئات من التعريفات ما بين (1871-1963) منها ما أخذ بالجوانب المعنوية الفكرية أو

¹ هشام بن سنوسي، مرجع سبق ذكره ص 24-26

² محمد سعيدي، مرجع سبق ص 20-19

الجوانب الموضوعية المادية أو بكليهما معا، باعتبار الثقافة، في إطارها العام، تمثل سيرورة المجتمع الإنساني وإبداعاته الفكرية والعلمية.¹

وعليه سنورد بعض التعريفات كما يلي: يرى " برونسلو مالمينوفسكي " في مقاله المشهور الذي كتبه في دائرة المعارف الاجتماعية عن الثقافة أن الإنسان " هو كائن له شكله الفيزيقي وتراثه الاجتماعي، وسماته الثقافية، فإذا كانت الأنثروبولوجيا الفيزيائية تصنف الإنسان تبعا لبنائه العضوي وخصائصه الفيزيولوجية وإذا كانت " الأنثروبولوجيا السيكولوجية تهتم بالطبيعة الإنسانية، فإن الأنثروبولوجيا الثقافية تدرس الإنسان ككائن يعيش في ثقافة² كما يعرف مالمينوفسكي الثقافة بأنها ذلك الكل المتكامل الذي يتكون من الأدوات والسلع والخصائص البنائية لمختلف المجموعات الاجتماعية من الأفكار الإنسانية والحرف والمعتقدات والأعراف.³

ويعرف "تايلور" الثقافة بأنها الكل المركب الذي يشمل على المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والتقاليد وكل القابليات (الممكنات) التي يكتسبها الفرد باعتباره عضوا في المجتمع.⁴

شكل تعريف الباحث " تايلور " المنطق الأساسي والرئيسي للعديد من الدراسات الثقافية حيث اعتمده الباحثون نضا مهما في تحديد ماهية الثقافة وتحديد عناصرها المعنوية والسلوكية فبالإضافة إلى قيمة التعريف فإنه يعود الفضل إلى العلامة تايلور في إدخال مصطلح الثقافة إلى اللغة انجليزية مستلهما إياه من اللغة والثقافة الألمانية المنشأ الأول والأصلي للمفهوم.⁵

¹ هشام بن سنوسي، مرجع سبق ذكره ص 26

² عامر مصباح مرجع سبق ذكره ص 92

³ محمد حسن غامري، مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة (علم الانسان) نقلا عن محمد سعدي، مرجع سبق ذكره ص 53.

⁴ عامر مصباح مرجع سبق ذكره ص 92

⁵ محمد سعدي، مرجع سبق ذكره ص 52.

وقد حدد كلايد كلاهون مفهوما للثقافة على النحو التالي:

"تقصد بالثقافة جميع مخططات الحياة التي تكونت على مدى التاريخ،* بما في ذلك المخططات الضمنية والصريحة والعقلية واللاعقلية وغير العقلية، وهي موجودة في أي وقت كموجهات السلوك الناس عند الحاجة.¹

يوضح لنا هذا التعريف تنوع السلوك البشري فنذكر من خلاله أن لكل مجتمع إنساني ثقافته المميزة.

ويعرفها "روبرت لوي" **Robert Lowie** بأنها مجموع ما يحصل عليه الفرد من مجتمعه، أي المعتقدات والتقاليد والنماذج الفنية والعادات المتعلقة بالغذاء والحرف التي تصل ينتقل إليه عن طريق فعاليته الإبداعية، بل كميّرات من الماضي ينتقل بالتعليم العضوي أو المنظم.²

وهناك من يعرفها بأنها "طرق الحياة المختلفة الصادرة عن السلوك الإنساني وإنتاجه لمعايير وقيم ومعتقدات وفن وعلم وآثار ونظم وقوانين وقواعد ومثل، والثقافة بهذه الصورة ككل متكامل من الأفكار والمعايير وطرق كسب الرزق وتربية الأبناء والعمالة اليدوية التي تنتقل عبر الأجيال المختلفة، ولثقافة جانب ملموس يتمثل في المباني والآلات، وآخر غير ملموس

* عادة ما يستخدم الناس كلمة ثقافة كمرادف لارتفاع مستوى كفاية الفرد في تخصصه او تعليمة فالفرد المتق (المتحضر) هو الشخص الذي وصل إلى درجة التمكن في بعض مجالات المعرفة (الفن، الموسيقى، الأدب) وهو كذلك يتميز بأداب سلوكية راقية (لكن هذا التمييز ليس له، لالة من الناحية الأنثروبولوجيا فالثقافة ليست مقصورة على مجالات معينة من المعرفة وذلك لأنها تتضمن كل اساليب السلوك المشتقة من مجالات النشاط البشري بكل انواعهفلانة ليس مناهج الفن والموسيقى فالأدب وإنما تشمل كذلك مثل: طرف صناعة الفخار، حياكة الملابس، بناء البيوت، إنتاج الكتب والأغاني فالأنثروبولوجي لاميّز بين متقير منتف، كما أنا المفهوم الانثروبولوجي للثقافة أكثر اتساعا وشمولا والثقافة تتضمن الحضارة ايضا فالثقافة إذن موجودة في كل مكان عن كافة الشعوب حي الي تكرر ولنا غريبة فالثقافة كل ما صنعه الإنسان.

¹ محمد الجوهري، مرجع سبق ذكره

² عامر مصباح، مرجع سبق ذكره ص 92

أي معنوي يتمثل في القيم والفنون.¹

ويلجأ العلماء عند تحليل ثقافة أي شعب إلى العناصر التي تتألف منها:

ب- عناصر الثقافة ومكوناتها: تقسم الثقافة عادة حسب العناصر المكونة لها إلى ثقافة مادية وثقافة لا مادية (روحية معنوية) فتشمل عناصر الثقافة اللامادية الفنون والأفكار والمعتقدات والعادات، كما تشمل عناصر الثقافة المادية الآلات والمعدات والوسائل...

وهذا التقسيم هو الذي يفصل بين لفظي ثقافة وحضارة لدى البعض (المدرسة الألمانية) إذ تتصل الثقافة بالجانب الروحي بينما تتصل الحضارة بالجانب المادي، عكس المدرسة الفرنسية التي مزجت بين اللفظيين حين ظهورهما، إذ لتشيران (ثقافة وحضارة) إلى الجانبين معا.²

ويلجأ الأنثروبولوجيون إلى تحليل الثقافة بحسب ما يشكلها من عناصر حيث:

السمة أو العنصر الثقافي: هي أصغر وحدة في الثقافة ليس ثمة ما هو أصغر منها مثلاً (قوس- فكرة...، فالسمة حقيقة واقعية يمكن ملاحظتها حساء قد يكون شيئاً، أو علاقة، أو فكرة... (عن طريقها تعقد المقارنات في ثقافة الشعوب).

النموذج أو النمط (المركب الثقافي):

مجموعة من العناصر والسمات الثقافية المترابطة فيما بينها (مثلاً قوس + سهم + حقيبة...)

والنموذج أو المركب هو مجموعة من الأفكار والفعاليات والأشياء المادية التي تتجمع بأسلوب منطقي، وتترابط بطريقة وظيفية بحيث لا يمكن تمييزها باعتبارها أجزاء بل تبدو

¹ المرجع السابق ص 93

² موقع معابر، الموضوعات الأساسية في الأنثروبولوجيا 2012/05/04، متوفر على المدونة التالية: Taher 78blog post.com تاريخ الولوج: 2018/12/10.

طرز عام متناسق. النظام: وهو عدد من النماذج والمركبات الثقافية المترابطة فيما بينها (مثلا مركب ركوب الخيل + مركب مكان الصيد: نظام الصيد فكل نظام يتكون من أنماط فإذا أخذنا الدين كنظام إجتماعي وجدنا نمط الصوم والحج والزكاة وهذه الأنماط يتألف منها نظام دين ما، ويختلف عن الأنماط التي يتألف منها أي دين آخر.

وترتبط النظم بعضها ببعض من خلا الأنساق الثقافية حيث يتشكل كل نسق من مجموعة من النظم التي يعتمد ويكمل بعضها البعض فنظام الصيد ونظام الزراعة ونظام التجارة تشكل النسق الاقتصادي، وأخيرا فإن الثقافة تشمل مختلف هذه النظم والأنساق ومكوناتها.

وتأسيسا على ذلك نرى أن:

- الثقافة: هي مجموع النظم والعادات والتقاليد التي تسود المجتمع؛
- النظام: هو عدد من النماذج أو مركبات ثقافية مترابطة فيما بينها؛
- النموذج أو المركب: هو عدد من السمات الثقافية المترابطة فيما بينها؛
- السمة: هي عناصر أولية لا تنقسم إلى أقل منها.¹

خصائص الثقافة:

هناك اتفاق بين المهتمين بالثقافة حول بعض الخصائص أهمها:

- الثقافة اجتماعية ومكتسبة: تكتسب من المجتمع عن طريق التعليم.
- إنسانية: أنها من سمات الإنسان دون غير من الكائنات.
- انتقالية: تنتقل بين المجتمعات والأجيال.
- أفكار وأعمال فهناك جانب روحي فكري للثقافة وجانب مادي ملموس.
- متنوعة الشكل مختلفة المضمون: فكل مجتمع لغة ودين وعادات لكن هناك اختلاف

¹ حسن شحاته سغفان، الأنثروبولوجيا علم الإنسان، مكتبة العرفان، بيروت، 1966 ص 115.

في طبيعة هذه العناصر بين المجتمعات.

- متغيرة: فالثقافة تتغير من خلال عمليات الاتصال والاحتكاك الثقافي وعمليات التعديل والتطور.

المحور الرابع

أنثروبولوجيا الاتصال ومنهج البحث الأنثروبولوجي

1. أنثروبولوجيا الاتصال
2. الانتوغرافيا وانتوغرافيا الاتصال
3. مفهوم المنهج في الدراسات الاجتماعية
4. منهجية البحث الأنثروبولوجي وأدواته

1. أنثروبولوجيا الاتصال:

يرى الانثروبولوجيون أن الاتصال لا يقتصر على الاتصال الشفهي او عبر وسائل الاعلام والاتصال بل يتعلق الأمر بسيرورة اكثر تعقيدا فالسلوك الجسدي، الحركات الإرادية واللاإرادية تلعب دورا في الاتصال إلى جانب أن لكل ثقافة شفرة سلوك ثقافي محددة للاتصال، فهم يعتمدون على مقولة لا يمكن أن لا نتصل أي أن الاتصال هو كل مندمج في سيرورة اجتماعية دائمة التي تشمل مختلف نماذج السلوك: الكلمة، النظرة، الحركة ... وكذلك في مختلف مجالات الحياة الإنسانية والثقافية منها الاحتفالات، الرقص الموسيقي، المسرح، الهندسة المعمارية... وقد كان لمدرسة شيكاغو دورا في توسيع دراسة الاتصال بعيدا عن وسائل الإعلام والاتصال فخاصيتها الامبريقية تجعلها رائدة في بداية التأسيس لانثروبولوجيا الاتصال هذه الأخيرة التي اساسها مبني على الامبريقية والميدانية أكثر منها على النظرية وهي خصوصية الأنثروبولوجيا بمجالاتها المختلفة¹، وقد كان دال هايمس أول من استعمل عبارة أنثروبولوجيا التواصل في إشارة منه إلى التواصل في الثقافات أو الفئات حيث يكمن المشروع الذي اقترحه في دراسة إثنوغرافية للسلوكيات والظروف والمواضيع المدركة داخل فئة معينة وكأن لها قيمة تواصلية²

من جهته يرى ايف وينكن ان انثروبولوجيا الاتصال هي قبل كل شيء نظرة معمقة للمجتمع تركز على الأعمال الميدانية المتعددة الأماكن خصوصا المفتوحة منها مثل: دراسة الاتصال في الأسفار، التظاهرات، زيارة المتاحف، المقاهي، الحدائق العامة، الموسيقى، الرقص، القرابة... هذا الاقتراض مؤسس على الإثنوغرافيا لا اللسانيات وعلى الاتصال لا اللغة لان الاتصال لا يقتصر على رسالة تبادل وتقابل بل كذلك على نسق عام المكون

¹ خديجة الزاوي، فضاءات في أنثروبولوجيا الاتصال، مجلة الصورة والاتصال، Volume 1, Numéro 1, Pages 139-149 ، ص 1 متواجد على الرابط التالي: <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/169>

² إيف ونكن، ترجمة خالد عمراني، أنثروبولوجيا التواصل من النظرية إلى ميدان البحث، ط1، المنامة، 2018، ص 139

لسيرورة الحياة اليومية¹

2. الاثنوغرافيا واثنوغرافيا الاتصال:

يعني مصطلح الاثنوغرافيا العلم الذي يهدف الى الدراسة الوصفية التحليلية في الميدان لعادات وأعراف شعوب محددة، وكانت في بداياتها تهتم بدراسة الشعوب البدائية، وتتكون الكلمة من جزأين الجزء الاول "اثنو" مأخوذة من اليونانية وتعني اي نوع من الكائنات ذات الاصل او الظرف المشترك اما الجزء الثاني "غرافيا" مأخوذة هي الاخرى من الكلمة اليونانية "Graphie" اي صور وعليه فان الاثنوغرافيا تعني لفظيا "وصف الشعوب وتعني تحديدا اعمال الباحثين الذين يبحثون في طبائع الشعوب ودورات حياتهم.²

هي نوع من انواع البحث النوعي او الكيفي والذي يقوم الباحث من خلاله بدمج نفسه في مجتمع او منطقة ما لمراقبة سلوك الجماعة وتفاعلاتهم عن قرب.³

وعلى الرغم من كون المنهج الاثنوغرافي منهج قديما تم توظيفه في ميدان الابحاث الاجتماعية الا ان ابحاث الاتصال اصبحت تعتمد عليه في السنوات الاخيرة خصوصا في دراسات الجمهور من خلال اهتمام الدراسات الاعلامية بالمتلقي في علاقاته وتفاعله مع الرسائل الاعلامية التي يتعرض لها وهو ما يتطلب التحليل والوصف الشامل من اجل فهم السلوكيات الاتصالية ومعايشة الباحث لواقع الظاهرة المدروسة وهو المنطلق الاساسي للمنهج الاثنوغرافي.

واما عجز البحوث الكمية في دراسة وتفسير السلوكيات الاتصالية للمتلقي كيفية تفاعله مع الرسائل الاعلامية التي يتلقاها من مختلف الوسائل الاعلامية ظهر توجه جديد في دراسة

¹ خديجة الزاوي، مؤجع سبق ذكره، ص 3

-أمينة بصافة، أنثروبولوجيا الاتصال والمؤانسة الاجتماعية بفضاء اتصالي جزائري، دراسة إثنوغرافية ميدانية، مجلة أفاق²

³ الإثنوغرافيا، الجزء الأول، مركز الأبحاث والمنشورات العلمية الأروبي/ <https://esrpc.com>،

سلوك المتلقي حيث كانت البداية مع الابحاث التي جراها دافيد مورلي في منتصف الثمانينات حول الاستعمالات الاسرية للتلفزيون وما طرحه من مفاهيم "سياق المشاهدة" "السياق المنزلي" "الديناميكية العائلية" وهذا ما طرحه لأنموذج التفاعل والتأويلات حيث اقترح فكرة وجوب فهم التكنولوجيا كنظام تقني ومادي واجتماعي وثقافي من خلال الاعتماد على المقاربة الاثنوغرافية لرصد التفاعلات التي تحدث بين افراد الاسرة الواحدة في سياق عائلي معقد مليء بالممارسات والنقاشات الجماعية ايت اتخذ الاسرة كوحدة تحليل جزئية من المجتمع ككل واستمرت البحوث الاثنوغرافية في التطور خصوصا مع رواج الانترنت ودخول التكنولوجيات والوسائط الجديدة الى السياق الاجتماعي.

ويعرفه "مرسلي واتكنسون" بأنه منهجية بحث اجتماعي يتميز بانخراط الباحث العميق حيث انه يقع بين حدود البحث الكيفي السوسولوجي لمجرد الفهم وبين البحث الاجرائي كون هدفه الفهم والمشاركة في التغيير نحو الافضل فمن حيث المنهجية يقتضي البحث الاثنوغرافي قيام الباحث بمعايشة المجتمع موضوع البحث لجمع البيانات كتدوين المشاهدات اليومية او اجراء مقابلات مع المبحوثين اضافة الى تحليل الوثائق واليوميات ذات الصلة حيث ان هذا النوع من الابحاث يتطلب وقتا طويلا فقد يستغرق بحث اثنوغرافي فترة تمتد ما بين سنتين الى 10 سنوات وما يميز البحث الاثنوغرافي عن بقية الابحاث الكمية هو عدم وجود فرضيات مسبقة ومحاور صارمة للأسئلة التي تقود البحث.

ويرى باتون (*Patton*) أن البحث الاثنوغرافي يعنى بالثقافة بشكل خاص، فسؤاله الدائم هو: ما ثقافة هؤلاء الناس؟ وهل يفترض أن أي مجموعة من الناس تعيش مع بعضها لفترة زمنية معينة ستكون ثقافة معينة خاصة بها؟ وما انعكاسات هذه الثقافة على تشكيل سلوكهم، وممارساتهم الحياتية، ونظرتهم إلى الواقع الاجتماعي والثقافي الذي يعيشون فيه.

مميزاتها:

تظهر خصائص الاثنوغرافيا ومميزاتها فيما يأتي:

- يعتمد المنهج الاثنوغرافي في جمع بياناته اساسا على الملاحظة خصوصا الملاحظة بالمشاركة والمقابلة المفتوحة المتعمقة مع عينة الدراسة.
- ينطلق المنهج الاثنوغرافي من مفهوم نظري وفلسفي مناقض لمفاهيم البحوث التقليدية فهو يسعى الى التبصر والفهم والاستكشاف ودراسة السلوك الانساني من خلال التفاعل بين الباحث والمبحوث وعبر الفهم المتعمق لشعور واحاسيس وافكار ومعتقدات المبحوثين.
- يتميز بالمرونة في الطريقة والتحليل كما انه بحث غير مقنن كما ان له القدرة على الكشف عن الظواهر العفوية التي تظهر من خلال الممارسات والسلوكيات غير المقصودة خلال اجراء الدراسة.
- يوصف البحث الاثنوغرافي بانه تفاعلي ويتطلب وقتا طويلا للملاحظة والمقابلة وتسجيل المعلومات.
- يركز على وصف السياق دون محاولة من الباحث فرض نظامه او معتقداته على الموقف البحثي.
- تعميم النتائج ليس هدفا فالمهم هو الوصف الدقيق والمتعمق للموقف موضوع الدراسة.
- يركز على دراسة حالة اجتماعية معينة او حدث معين وتقديم فهم شمولي عن الحالة او الحدث ويعتمد على الفهم والتفسير والتأويل اكثر من الارقام.
- تتمثل اهم التقنيات المستخدمة في البحث الاثنوغرافي في الملاحظة بالمشاركة والمقابلة الاثنوجرافية (المقابلة الموجهة وغير الموجهة).

وبالنسبة لمارسال موس فانه من اجل دراسة مجتمع معين ينبغي دراسة ما يلي:

- المورفولوجيا الاجتماعية: فكل مجتمع يتكون من سكان ودراسة السكان في الميدان يطلق عليه مورفولوجيا اجتماعية التي تحتوي على ديمغرافيا وجغرافيا الانسان ونضيف لها تكنومورفولوجي (سكان المنطقة عددهم اماكن تواجدهم توزيعهم...)
- الفيزيولوجيا الاجتماعية: تدرس الظاهر في حراكيتها وتطورها واستمراريتها وقد صنفتها حسب درجة مادياتها الى:
- التقنيات: تشمل كل الفنون والحرف الخاصة بالإنتاج بما في ذلك كل العلوم فلا يوجد مجتمع بدائي يكون مجردا من العلوم بالإضافة طبعا الى الحرب التي اعتبرها من التقنيات كونها تعتبر فن التخريب.
- الجماليات: وتهتم بالجانب الجمالي للمجتمع الذي يعتبر ماديًا بنسبة كبيرة حتى عندما يظهر مثاليًا.
- الاقتصاد: يهتم بكل الظواهر الاقتصادية وكل ما يتعلق بالأموال بالإضافة الى الظواهر القانونية.

ظواهر عامة: وتشمل اللغة في المرتبة الاولى ويليهما علم السلوك او الاخلاقيات الجماعية الظواهر الوطنية التي تحدث داخل الوطن ذاته مثلا ظاهرة **ADISMNOM** تعتبر ظاهرة محلية وطنية والظواهر الخارجية الدولية مثلا: ظاهرة الحداثة.¹

وقد أدرج الباحثون عدة طرق للدراسة الاثنوغرافيا نذكر من بينها:

الطريقة السوسولوجية: تقوم هذه الطريقة اساسا على تاريخ المجتمع المدروس حيث تجدر العودة الى ثلاثة او اربعة اجيال سابقة كما تجدر دراسة تركيبة المجتمع والتركيز على تاريخ

¹ سميرة بلغيثية استخدام المقاربة الإثنوغرافية في بحوث جمهور وسائل الإعلام، مجلة دراسات وأبحاث، المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 10، عدد 4، ديسمبر 1018، ص 750

الاسر باعتبار ان الاسرة هي الخلية الاساسية للمجتمع ومن ثمة تاريخ الافراد.

طريقة المورفولوجيا والكارتوغرافية: والتي لها علاقة برسم الخرائط الجغرافية تقام على كل اعضاء المجتمع محل الدراسة ويجب ايضا وضع خريطة جغرافية للمجتمع المدروس كما يتم تسجيل كل المواضيع التي يمكن ان نرصد فيها حضور افراد المجموعات المدروسة وعددها وعدد سكانها اما بالنسبة للأسر فالجرد يجب ان يكون كاملا من خلال تحديد: العمر والجنس والطبقة.. وتتضمن طريقة الجرد وثيقة كارتوغرافية تسمح بتحديد كل موضع بدقة: مخطط المنزل مخطط كل طابق منه ان امكن ومخطط كل غرفة...الخ.

الطريقة التصويرية (الفوتوغرافية): يجب تصوير كل الاشياء المدروسة دون اهمال اي عنصر ويجب ان ترفق عملية التصوير بتحديد الوقت والمكان والابعاد الخاصة بكل صورة.

الطريقة الفونوغرافية: ونقصد بها تسجيل الاصوات دون اهمال اي صوت (سواء كان صوت انسان او الموسيقى المحيطة ضربات الاقدام والايادي...الخ) ومن المهم ان يصاحب كل تسجيل ترجمة مع تعليق تسمح بتحويله الى نص.

الطريقة الفيلولوجية: وهي طريقة فقه اللغة وتفترض معرفة الباحث بلغة الشعوب الاصلية حيث يجد الباحث نفسه ملزما بتأسيس مجموعة كاملة من النصوص المسموعة دون اي اقصاء بما فيها النصوص اللفظية او السوقية التي لا تقل اهمية¹.

إثنوغرافيا الاتصال: إثنوغرافيا التواصل وهي كلمة مختصرة من **(The Ethnography of Communication)**، والتي تسمى في الأصل إثنوغرافيا التحدث والخطاب، وهي العلم الذي يهتم بتحليل التواصل ضمن السياق الواسع والذي يشمل الممارسات الاجتماعية والثقافية واعتقادات أعضاء ثقافة معينة أو كلام مجتمع معين.²

¹ مريم دهان، مرجع سبق اكره، ص 37

² اقرأ المزيد على e3arabi: إثنوغرافيا التواصل وعلم اللغة الاجتماعي <https://e3arabi.com/?p=701959>

وكما تشمل الأهداف العامة لهذا العلم على طريقة البحث النوعي والقدرة على تمييز الأفعال والرموز الخطابية في الاتصال والتي تعتبر مهمة للغاية للمجموعات الكلامية المختلفة، وبالإضافة إلى أنواع مجموعات المعاني التي تقوم مختلف المجموعات الخطابية باستخدامها وذلك لتلبية حاجاتهم المتعددة في الاتصال، وكيفية تعلم أعضاء المجموعة الأفعال والرموز الخطابية؛ وذلك من أجل توفير النظرة عن مختلف المجتمعات الخطابية¹.

تيار أنشأه كل من الباحثين الأمريكيين **Dell Hymes** و **J. Ghmbers** اهتمت هذه المقاربة باللغة لأنها أداة التفاعل الأساسية بين الأشخاص، فتم التركيز على العادات اللفظية للمجموعات الإنسانية وكل الإشكاليات المرتبطة بالتنوع اللغوي (ازدواجية اللغة، تعدد اللغة، ازدواجية اللهجة، تعدد اللهجات).

عد العالم اللغوي ديل هايمز إثنوغرافيا التواصل بأنه عبارة عن نهج يقوم بتحليل أنماط وعناصر استخدام اللغة داخل المجتمعات اللغوية المختلفة؛ وذلك من أجل تقديم الدعم الكامل فيما يتعلق بفكرته الخاصة بدراسة الكفاءات التواصلية المختلفة، والتي كانت في عبارة عن ردة فعل على التمييز بين الأداء اللغوي والكفاءة اللغوية من قبل عالم اللغة نعوم تشومسكي. كما سميت ورقة بحث اللغوي ديل هايمز بإثنوغرافيا الكلام وكان هذا في عام 1962، كما أنه تم إعادة صياغة مقالته وإعادة تسميتها في عام 1964 فكان اسمها "مقدمة نحو إثنوغرافيا الاتصال"؛ وكان ذلك لاستيعاب الخصائص والسمات الصوتية وغير اللفظية وغير المسموعة للتواصل على الرغم من ديمومة الأبحاث المتعلقة بإثنوغرافيا الاتصال واستمرار تركيز الباحثون في هذا المجال على الكلام والذي يعد أهم وسيلة اتصال يعرفها البشر على الرغم من كونها الطريقة البدائية².

¹ المرجع السابق

² إثنوغرافيا التواصل وعلم اللغة الاجتماعي <https://e3arabi.com/?p=701959>

منهج البحث الأنثروبولوجي: تعددت مناهج البحث التي تستخدمها الأنثروبولوجيا انطلاقاً من تعدد فروعها، فهي تعتمد على المنهج الأنثروبولوجي و"الأنثروبومتري" أو منهج القياس الأنثروبولوجي في مجال الأنثروبولوجيا الفيزيائية، وهناك بعض المناهج العامة التي تشترك فيها الأنثروبولوجيا مع فروع عديدة من العلوم الإنسانية، والعلوم الاجتماعية، سيما في مجال الدراسات الاجتماعية والثقافية، حيث يحصل الاشتراك بين الباحث الأنثروبولوجي والباحث في علم الاجتماع أو النفس أو علم السياسة، أو الاقتصاد في استخدام مناهج عامة.¹

ونظراً لتعدد موضوعات البحث الأنثروبولوجية من دراسة تطور الإنسان من الناحية الفيزيائية، ودراسة البناء الاجتماعي والحياة الثقافية، وما يتولد عنه من إنجازات تصب في مجرى الحضارة الإنسانية عموماً، وبتعدد هذه الموضوعات البحثية، تعددت مناهج البحث الأنثروبولوجي وإذا أردنا أن نقوم بشرح ما يعنيه مصطلح البحث الأنثروبولوجي، فيمكننا أن نقول أن مناهج البحث الأنثروبولوجي هي الأساليب المنهجية العامة التي يعتمد عليها الباحث أثناء إنجاز بحثه من أجل التوصل في الأخير إلى نظرية أو القانون وبالمقابلة إذا أردنا تعريف طريقة البحث الأنثروبولوجي، أو الطريقة الأنثروبولوجية العراقية الجنة، فيمكننا القول أنها تعني تطبيق قواعد المنهج نفسه في دراسة مجتمع ما دراسة أنثروبولوجية، ولكن يشترط تحديد زمان ومكان الدراسة وإذا كانت مناهج البحث الأنثروبولوجي متعددة فإن الطرق الأنثروبولوجية التي يستخدمها الباحث الأنثروبولوجي لجمع المادة والمعلومات الاثنوجرافية من الميدان متعددة كذلك، نذكر منها طريقة الملاحظة بالمشاركة وطريقة المقابلة الموجهة، وطريقة المقابلة غير الموجهة، الملاحظة المباشرة المعيشة، الأوتوبيوغرافي، طريقة المقارنة، طريقة دراسة الحالة وتاريخ الحياة، كما أصبح الفيلم الاثنوجرافي طريقة رئيسية ومهمة من طرف التعبير، ووجد فيه بعض الأنثروبولوجيون أداة

¹ مبروك بوطقطوقة، منهج البحث الأنثروبولوجي الجزء 3 / 1، موقع ارثروبوس <https://www.aranthropos.com>

جديدة لعرض نتائج بحوثهم الميدانية، وغيرها من طرق البحث الأنثروبولوجي.¹

3. مفهوم المنهج في الدراسات الاجتماعية:

المنهج هو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة أو الظاهرة لاكتشاف الحقيقة وللإجابة على الأسئلة والاستفسارات التي يثيرها البحث وهو البرنامج الذي يحدد لنا السبيل للوصول إلى تلك الحقائق وطرق اكتشافها، أما الدراسات الاجتماعية فهي العلوم التي تهتم بدراسة الإنسان وعلاقته بالبيئة المحيطة به وتأثيره فيها وتأثره بها، كعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم التاريخ، ويعد مفهوم المنهج الأنثروبولوجي في الدراسات الاجتماعية هو ط منهج وصف الواقع كما هو تماما واستنتاج الدلالات والبراهين من وقائع مشاهدة.²

ويعرف المنهج الأنثروبولوجي بشكل عام على أنه علم الإنسان وهو العلم الذي يسعى الدراسة مجرى التطور الإنساني من الناحيتين البيولوجية والثقافية والقوانين والمبادئ التي تحكم هذا التطور والارتباطات التي بين الجوانب الطبيعية المختلفة للإنسان وبين عادات الشعوب في الماضي والحاضر والأنماط التي تميز مجتمعات معينة دون غيرها، أما التعريف العلمي للمنهج الأنثروبولوجي فنرى بأنه هو منهج شامل لدراسة الإنسان ولا يكتفي بدراسة ناحية واحدة أو مظهر واحد من مظاهر حياته المعقدة أو يقصر اهتمامه على دراسة تكوينه الفيزيقي فقط وإنما يحيط بكل خصائصه ومقوماته البيولوجية والاجتماعية والثقافية سواء في الماضي القريب أو الحاضر.³

¹ المرجع السابق

² عبد الواحد مشعل عبد http://m.facebook.com/http://ibn_jonaid-wordpres.com Permalink<

³ المرجع السابق

4. منهجية البحث الانثروبولوجي:

تنطلق المنهجية الأنثروبولوجية من عدة أسس منها:

- إقامة الباحث في مكان دراسته.
- ضرورة التحلي بالتجرد العلمي بعيدا عن الأحكام القيمية.
- الأنماط بالمعلومات الانثروبولوجية، ووضوح الهدف.
- استخدام أساليب عدة في جمع المعلومات.
- المقارنة والتجربة.
- الدراسة الوصفية المقترنة بالشواهد الواقعية.¹

البحث الاثنوجرافي:

مصطلح الاثنوجرافيا مزدوج المعنى اذ يستخدم بمعنيين مختلفين أولا بمعنى البحث الميداني او الدراسة الميدانية وثانيا بمعنى الدراسة الاثنوجرافية (المونوغرافية) أي دراسة الموضوع الواحد وهذا هو المعنى الثاني وما يهنا هو المعنى الأول أي الدراسة الميدانية.²

وقد عرفت الاثنوجرافيا بأنها الاثنولوجيا الوصفية أي ملاحظة وتسجيل المادة الثقافية في الميدان وهي تعني أيضا أوجه النشاط الثقافي، كما تبدو من خلال دراسة الوثائق التاريخية، ويعتقد "دياس" أن مصطلح إثنوجرافيا قد ظهر عام 1807 على يد "كامبل" ليعني وصف الشعوب، وهذا هو المعنى العام للكلمة (على الرغم من أنها اكتسبت معنى آخر فيما بعد).

فيما يلي بعض التعريفات:

يعرفها "دياس" بأنها: الدراسة الوصفية للثقافات المختلفة أو لقطاعات من ثقافة معينة

¹ عيسى الشماس مرجع سبق ذكره ص 137.

² روبرت ايمرسون واخرون، البحث الميداني الاثنوجرافي في العلوم الاجتماعية، ترجمة هناء الجوهري، مراجعة وتقديم محمد الجوهري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010 ص 12.

يعرفها "جاكوبز" و"ستيرن" بأنها: الوصف العلمي للأنساق الاقتصادية والاجتماعية والتراث الثقافي للشعوب ذات المستويات التكنولوجية المختلفة

ويقول "هوبل" الاثنوغرافيا هي ذلك القسم من علم الانثروبولوجيا الذي يختص بالتسجيل الوصفي للثقافات¹

الدراسة الميدانية: يقصد بها البحوث التي يقوم بها الدارس الاجتماعي في منطقة اثنوجرافية او في مجتمع محلي، وفي الانثروبولوجيا المعاصرة لم تعد هذه المنطقة الاثنوغرافيا مقصورة بالضرورة على المجتمع المحلي التقليدي القروي او القبلي، بل يمكن أن تغطي دراسات للمجتمعات الحضرية او الصناعية او غيرها التي يختارها الباحث لدراستها دراسة مركزة، كما استخدم نفس الاتجاه في دراسة الثقافة الفرعية وفي اجراء البحوث على مؤسسات داخل المجتمع الصناعي الحديث، ففي حين كان يقال في الماضي أن الأنثروبولوجيا هي دراسة الشعوب البدائية والثقافات القبلية الغربية وغير المعروفة والمجتمعات المحلية القروية، لم يعد يصح اليوم تعريف الانثروبولوجيا المعاصرة وفقا لهذا المعيار وإنما أصبحت تتميز باستخدام المناهج الأنثروبولوجية المتميزة في العمل الميداني وفي التحليل.²

تقتضى الدراسة الميدانية الاثنوغرافية اليوم المشاركة الشخصية في الثقافة موضوع الملاحظة والتسيير الوظيفي للمواد الثقافية، ويرى بعض علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية أمثال "إيفانس بريتشارد" أن من أهم أهداف هذا العلم أن يكون تكاملا وصفيا للثقافة التي يدرسها، وينظر "لوي" إلى الاثنوغرافيا نظرة أشمل إذ يعرف هدفها الأمثل بأنه الوصف الكامل لجميع الظواهر الثقافية في كل مكان وكل زمان³

أدوات الدراسة الميدانية: الأداة الرئيسية في الدراسة الميدانية الاثنوجرافية هي الملاحظة

¹ إيكه هولترانكس، مرجع يبق ذكره، ص 16

² المرجع السابق ص13.

³ إيكه هولترانكس، مرجع يبق ذكره، ص ،ص 16، 17

عموما والملاحظة المشاركة بشكل خاص، والملاحظ المشارك هو باحث يصبح عضوا في الجماعة التي يلاحظها بعكس الملاحظ غير المشارك الذي يراقب الجماعة عن كثب دون أن ينخرط في مناشط حياتها اليومية.

يشارك الباحث في نشاط الجماعة بدرجة تتراوح بين قطبي المشاركة التامة وعدم المشاركة، فإما أن يتظاهر بأنه عضو في الجماعة أو يقدم نفسه إلى المجتمع الذي يدرسه على أنه باحث علمي ويأمل أن تقبله الجماعة كعضو فيها، ويجب أن نلاحظ أنه كلما امتد وجود الباحث في الميدان كلما زادت درجة مشاركته في أسلوب حياة الجماعة، وكقاعدة عامة فإن الباحث الذي يقوم بالملاحظة المشاركة يربط نفسه بالجماعة التي يدرسها لفترة معقولة من الوقت تتراوح بين عدة أسابيع أو شهور وعدة سنوات، كما يقوم الباحث الذي يقوم بالملاحظة المشاركة فهم الإطار المرجعي للجماعة التي يدرسها من خلال مشاركته لأعضاء الجماعة في نشاطاتهم اليومية من أجل أن يفهم الأشياء كما هي موجودة عليه بالفعل.

لذا وجب على الباحث الاندماج في الجماعة بدرجة كافية تمكنه من أن يتعرف على أسلوب حياتها، وفي نفس الوقت عليه أن يكون قادرا على أن يعبر عن أنماط السلوك والعلاقات المتبادلة بينها بطريقة موضوعية دون إصدار أية أحكام قيمية أو متميزة بمعنى أن يفهم كيف يعيش الأفراد وكيف يستشعرون وجود ثقافة تربطهم، ويحاول أن يفهم الجماعة وأفعالها في ضوء مجموعة من الفروض أو النظريات الاجتماعية عن طبيعة التفاعل الإنساني¹.

يمكن تحديد أدوات البحث الأنثروبولوجي في الآتي:

طريقة الملاحظة (المشاهدة المباشرة): يقوم هذا الأسلوب على معاينة أفراد الشعب الذي تجري عليه الدراسة في أثناء تأدية أعمالهم اليومية المعتادة وكذلك حضور المناسبات العامة

¹ المرجع السابق، ص 14.

التي يقيمها أبناء هذا الشعب كالحفلات والاجتماعات الدينية، أو الشعبية....) ورصد الحركات والتصرفات وتسجيل الحوارات، وهذا يقتضي من الباحث الإقامة فترة لا تقل عن 7 أو 8 أشهر لدى المجتمع المبحوث، وأن يحسن لغتهم.

طريقة المشاركة: من خلال القيام بالأعمال التي يقوم بها المجتمع المبحوث وذلك تقريبا منهم وكسبا لودهم وبالتالي الدخول في أدف التفاصيل في مختلف ممارساتهم، كأن يمارس بعض الطقوس الدينية أو الاجتماعية، أو أن يقوم ببعض نشاطاتهم اليومية، والمعلومات التي تأتي من الملاحظة بالمشاركة تساعد الباحث في تصميم الاستثمارات والاختبارات النفسية كما أنها تمكن الباحث من اختبار المعلومات الحقلية اللازمة لتقييم الشواهد التي جمعت بالوسائل الأخرى.

طريقة الاستثمار: تساعد الأنثروبولوجي المختص في التحقق من النقاط التي يكون قد أهملها في الملاحظة والمشاركة ولهذا وصفت بأنها " مذكرة يدوية للأنثروبولوجي".

طريقة الحالة الفرضية: تقوم هذه الطريقة على بناء افتراضات حول عناصر الظاهرة الاجتماعية الثقافية التي يسعى البحث التي إثباتها والتحقق منها، حيث لا تظهر جماعة ما هذه العناصر إلا في حوادث أو حالات معينة، وتسعى هذه الطريقة التي فصل حالات في حياة الناس تبعا لأشخاص وعلاقات وحوادث فرضية تتفق مع النماذج السائدة في ثقافة الجماعة والتي يستخدمها الباحث الإدارة المناقشات وتوجيهها مع أفراد الجماعة الموضوعة تحت الدراسة.¹

المذكرات الميدانية:

هي تقارير تصف الخبرات والملاحظات التي تتجمع لدى الباحث أثناء استغراقه المكثف في المشاركة، ولكن كتابة التقارير الوصفية عن الخبرات والملاحظات ليست عملية مباشرة

¹ عيسى شماس مرجع سبق ذكره ص 137

وشفافة كما قد تبدو لأول وهلة، ذلك أن كتابة الوصف ليست مجرد الإحاطة الدقيقة بالوقائع التي جرت ملاحظتها عن قرب وثيق قدر الإمكان، ولا مجرد التعبير بالكلمات عن الأحاديث التي استمع إليها الباحث والأنشطة التي شاهدها.

فالنظر إلى عملية كتابة الأوصاف على أنها مجرد إعداد نصوص مكتوبة تتطابق بشكل صحيح مع ما جرى ملاحظته، إنما يفترض أنه ليس هناك سوى نص صحيح واحد فقط لأي حدث بعينه مع أنه لا توجد في حقيقة الأمر طريقة واحدة طبيعية أو صحيحة للكتابة عما لاحظته الباحث من وقائع، فالحقيقة أن مثل هذه الأوصاف تخضع لأمر تتعلق بالإدراك والتفسير ولهذا السبب يكون من الممكن وربما من الطبيعي أن توجد أوصاف مختلفة لنفس الموقف أو ذات الحدث.¹

ركائز كتابة المذكرات: ثمة أربع ركائز ينهض عليها فهمنا للأثنوغرافيا بوصفها كتابة عن الخبرات المكتسبة من المشاركة.

1. إن الأمور التي تتم ملاحظتها واعتبارها في نهاية المطاف بيانات ميدانية أو نتائج لا يجوز الفصل بينها وبين عملية الملاحظة ذاتها.

2. يتعين على الباحث الميداني عند كتابة المذكرات الميدانية أن يولي عناية خاصة للمعاني والاهتمامات التي يؤمن بها أفراد مجتمع الدراسة.

3. تمثل المذكرات الميدانية التي يتم تدوينها بشكل فوري، تمثل أساسا وموردا وغناء عنه الكتابة تقارير شاملة متكاملة عن حيات الأخرى واهتماماتهم.

4. يتعين على مثل هذه المذكرات الميدانية أن تحيط بتفاصيل العمليات الاجتماعية والثقافية التي تقوم عليها الحياة اليومية لأفراد مجتمع الدراسة وانشطتهم.

¹ روبرت إيمرسون، مرجع سبق ذكره ص 59

قائمة المراجع

قائمة المراجع:

1. الجوهرى محمد، الأنثروبولوجيا أسس نظرية وتطبيقات عملية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1979.
2. ايكة هولترانكس، قاموس مصطلحات الانترولوجيا والفولكلور، ترجمة محمد الجوهرى، وحسن الشامى، دار المعارف مصر، القاهرة.
3. عبد الحميد حسين، رشوان أحمد، الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية.
4. أبو هلال أحمد، مقدمة في الأنثروبولوجيا التربوية المطابع التعاونية، عمان 1974.
5. الجوهرى محمد، شكري علياء، مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، دار المعرفة القاهرة 2007. الشماس عيسى، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2004.
6. ابراهيم الزهرة، الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الثقافية، وجوه الجسد، النايا للدراسة والنشر والتوزيع 2009.
7. دريدي مبروك، مطبوعة في مقياس الأنثروبولوجيا لطلبة سنة ثانية ل. م د، كلية الآداب واللغة، قسم اللغة والأدب العربي جامعة سطيف 2.
8. مصباح عامر، المدخل إلى علم الانثروبولوجيا، دار الكتاب الحديث، القاهرة 2010.
9. فهيم حسين، قصة الأنثروبولوجيا، فصول في تاريخ علم الإنسان عالم المعرفة، عدد 98

الكويت 1986.

10. صادق أزهرى مصطفى، مقدمة في الأنثروبولوجيا مقرر دراسة قسم الآثار، كلية

السياحة والآثار جامعة الملك سعود 2013.

11. سعيدى محمد، الأنثروبولوجيا مفهومها وفروعها واتجاهاتها، دار الخلدونية 2013.

12. تيليوين مصطفى مدخل عام في الأنثروبولوجيا، سلسلة مداخل ط2، منشورات

الضفاف منشورات الاختلاف الرباط والجزائر 2017.

13. شاكى مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا (انجليزي، عربي) ط1، جامعة الكويت

1981.

14. شاكى مصطفى سليم، المدخل إلى الأنثروبولوجيا مطبعة العاني 1975.

15. بن سنوسي هشام، الأنثروبولوجيا الثقافية مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة

ثانية ليسانس كلية الآداب واللغات جامعة محمد الصديق بن يحيى، جيل 2017.

16. حمدي عباس أحمد عبد المنعم، في الأنثروبولوجيا وفروعها ضمن المدخل إلى

الانثروبولوجيا محمد عباسي إبراهيم وآخرون دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 2008.

17. سعفان حسن شحاته الأنثروبولوجيا، علم الإنسان مكتبة العرفان، بيروت 1966.

18. ايمرسون روبرت وآخرون، البحث الميداني الاثنوغرافي في العلوم الاجتماعية، ترجمة

هناى الجوهري، مراجعة وتقديم محمد الجوهري، دار الكتب والوثائق القومية،

القاهرة 2010

19. ونكن إيف، ترجمة خالد عمران، أنثروبولوجيا التواصل من النظرية إلى ميدان البحث، ط1، المنامة، 2018.

20. المعجم العربي الأساسي، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ALesco توزيع الدروس 1989.

21. سيد علام ابتسام، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ملف فيديو مقتبس من اليوتيوب، اللقاء الأول، مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح.

22. إبراهيم الساعدي، ما هي الأنثروبولوجيا الجمعية الدولية للمتترجمين واللغويين العرب، منتديات واتا الحضارية.

23. بصافة أمينة، أنثروبولوجيا الاتصال والمؤانسة الاجتماعية بفضاء اتصالي جزائري، دراسة إثنوغرافية ميدانية، مجلة آفاق .

24. سميرة بلغيثية استخدام المقاربة الإثنوغرافية في بحوث جمهور وسائل الإعلام، مجلة دراسات وأبحاث، المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 10، عدد 4، ديسمبر 2018.

الموقع الإلكتروني:

25. بوظقوطة مبروك، منهج البحث الانثروبولوجي www.aranthropos.com

26. عبد، عبد الواحد مشعل، <http://bn.jaraid-wordpress.com>

27. تعريف الأنثروبولوجيا [Wezi wezi.com](http://Wezi.wezi.com).

28. الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) ودراسة السلوك البشري متوفر على الموقع التالي:

www.Feedo.net/Defanmt.htm

.29 WWW.wata.cc/forums

.30 مدونة معابر : Taher78.blog.post.com

.31 الإثنوغرافيا، الجزء الأول، مركز الأبحاث والمنشورات العلمية الأروبي

، <https://esrpc.com/>

.32 اثنوغرافيا التواصل وعلم اللغة الاجتماعي

<https://e3arabi.com/?p=701959>

.33 32-خديجة الزاوي، فضاءات في أنثروبولوجيا الاتصال، مجلة الضورة والاتصال،

المجلد العدد1متواجد على الرابط التالي:

34. <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/169>

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

البرنامج

08 مقدمة

المحور الأول مدخل إلى الأنثروبولوجيا

11..... 1. مفهوم الانثروبولوجيا، موضوعها وأهدافها

16..... 2. نشأة الأنثروبولوجيا

25..... 3. علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى.

المحور الثاني: الاتجاهات النظرية الأنثروبولوجية

31..... 1. النظريات الكبرى في الأنثروبولوجيا

31..... 2. النظرية التطورية.

34..... 3. النظرية الانتشارية

37..... 4. النظرية الوظيفية.

40..... 5. النظرية البنوية.

المحور الثالث: فروع وأقسام الأنثروبولوجيا

46..... 1. الأنثروبولوجيا الطبيعية (الفيزيائية)

50..... 2. الانثروبولوجيا الاجتماعية

64..... 3. الانثروبولوجيا الثقافية

المحور الرابع: أنثروبولوجيا الاتصال ومنهج البحث الأنثروبولوجي

80..... 1. أنثروبولوجيا الاتصال

81..... 2. الانتوغرافيا وانتوغرافيا الاتصال

88..... 3. مفهوم المنهج في الدراسات الاجتماعية

89..... 4. منهجية البحث الأنثروبولوجي وأدواته

95 قائمة المراجع

100..... الفهرس